

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

ميدان اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات



مذكرة ماستر

دلالات حروف المعاني في القرآن الكريم في ضوء
نظرية الأفعال الكلامية - حرف الباء نموذجاً -

الشعبة: الأدب العربي.

التخصص: لسانيات عربية.

إعداد الطالبة: مرابطي هجيرة.

إشراف الأستاذ/الدكتور: أ.د/ بن يوسف شتيح.

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الصفة في اللجنة | التوقيع |
|--------------|----------------------|-----------------|---------|
| بشير بديار | أستاذ التعليم العالي | رئيساً | |
| بن يوسف شتيح | أستاذ التعليم العالي | مشرفاً ومقرراً | |
| محمود طلحة | أستاذ محاضر - أ - | ممتحناً | |

السنة الجامعية: 1445/1446هـ / الموافق: 2024/2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

-سورة طه، الآية 111-

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده حمد الشاكرين، وأستعينه وأستغفره، وأسأله الإخلاص والقبول، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.
إلى من إليه المرجع والمآب، ومن بيده التوفيق والصواب، إلى الله سبحانه وتعالى، أرفع شكري ومناجاتي، فهو ولي نعمتي ومصدر قوتي.

إلى نفسي التي سهرت، تعبت، اجتهدت،

إلى من كانت دعواتها لي طريقًا للنور، وصبرها عنوانًا للتضحية...
إلى أمي الغالية، التي وهبتني من حبها ما لا يُقاس، ومن وقتها ما لا يُرد، أسأل الله أن يرزقني برها ورضاها في الدنيا والآخرة.

وإلى أبي الحبيب، الذي زرع في قلبي حب العلم، وربّاني على مكارم الأخلاق، أسأل الله أن يرفع قدره ويجزيه عني خير الجزاء.

إلى أساتذتي الكرام، الذين كانوا مشاعل نور، وغرسوا في نفسي حب المعرفة، ووجهوني بنصحهم وعلمهم، جزاهم الله عني خيرًا، ورفعهم في الدنيا والآخرة درجات.

إلى كل من ساندني بدعوة صادقة، أو كلمة طيبة، ... وأخص بالذكر صديقتي الغالية فاطمة الزهراء حدباوي.

أهدي هذا العمل المتواضع، راجيةً من المولى عزّ وجل أن ينفع به، ويجعله شاهدًا لي لا عليّ، وأن يكون لبنة في طريق العلم، وسببًا في نيل مرضاته.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله يُدرك الغايات، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أن هداني ويسّر لي إتمام هذا البحث المتواضع.

لا يسعني إلا أن أتحني احترامًا وتقديرًا لوالديّ العزيزين، اللذين كانا ولا يزالان نعم السند والعون، بدعائهما ومحبتهما وصبرهما، جزاهما الله عني كل خير، ورفع منزلتهما في الدنيا والآخرة.

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل ومشرف بحثي

الدكتور: أ.د/ بن يوسف شتيح:

الذي لم يخل عليّ بتوجيهه ونصحه، وكان لدعمه وتوجيهاته الأثر الكبير في إخراج هذا العمل بصورته النهائية، فله مني خالص الدعاء وجزيل التقدير.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور: أ.د/ ابو بكر بوقرين:

أرفع كلمات الشكر مقرونة بالتقدير والعرفان، لما وجدته منكم من توجيه حكيم، وصبر نبيل، وحرص صادق على جودة هذا العمل.

لقد كنتم سندًا بعد الله، وعاونًا في كل مرحلة من مراحل البحث، فلکم مني الدعاء أن يجزيكم الله خير الجزاء، وأن يجعل ما قدمتم في ميزان حسناتكم.

فكم من فكرة صححتُم مسارها، وكم من خلل نوهتم عليه بلطف المعلم وحرص العالم، فجزاكم الله عني وعن طلابكم خيرًا، وبارك لكم في علمكم وجهدكم.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة والأدب العربي، الذين غرسوا في نفسي حب العلم، وكانوا لي بعد الله نورًا في مسيرتي الأكاديمية.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل نافعًا، ويكتبه في ميزان حسناتي وحسنات من أعانني عليه.

| الصفحة | الموضوع |
|--|---|
| | شكر و عرفان |
| | الإهداء |
| | فهرس المحتويات |
| أ - و | مقدمة |
| مدخل: | |
| مفاهيم ومصطلحات : حروف المعاني - الأفعال الكلامية. | |
| 08 | توطئة: |
| 09 | أولاً: مفهوم الحرف |
| 16 | ثانياً: مفهوم المعنى |
| 17 | ثالثاً: مفهوم حروف المعاني |
| 18 | رابعاً: مفهوم الفعل الكلامي |
| الفصل الأول : | |
| دلالات حروف المعاني والأفعال الكلامية: "مقاربة نظرية". | |
| 21 | تمهيد |
| 22 | المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية بين المفهوم الغربي و التراث العربي |
| 22 | المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب |
| 32 | المطلب الثاني: ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي |
| 38 | المبحث الثاني: حروف المعاني أنواعها وأهميتها |
| 38 | المطلب الأول: أنواع حروف المعاني ومعايير تصنيفها |
| 42 | المطلب الثاني: دور حروف المعاني وأهمية البحث فيها |
| 44 | المبحث الثالث: دلالات حروف المعاني وأثرها في التركيب القرآني |
| 44 | المطلب الأول: دلالات حروف المعاني |
| 50 | المطلب الثاني: خصائص حروف المعاني |
| 51 | المطلب الثالث: أثر حروف المعاني في تعدد التركيب القرآني |

الفصل الثاني :

الوظائف الدلالية لحرف الباء مع الأفعال الكلامية: "دراسة تطبيقية في القرآن الكريم"

| | |
|----|---|
| 54 | تمهيد |
| 55 | أولاً: حرف الباء كأداة جر كلامية |
| 55 | 1: من معانيها؛ الإلصاق، السببية، الاستعانة، الظرفية |
| 62 | 2: من معانيها؛ التعدية، البدلية، العوض، المصاحبة |
| 63 | 3: من معانيها؛ الملابس، التبويض، المجاوزة، الاستعلاء |
| 66 | 4: من معانيها؛ الغاية، التوكيد، التعجب، القسم |
| 70 | ثانياً: دلالات الباء في الأفعال الكلامية؛ دراسة تحليلية تطبيقية |
| 70 | 1: دلالات الباء في الأفعال الكلامية التصريحية |
| 74 | 2: دلالات الباء في الأفعال الكلامية الإنجازية |
| 77 | 3: دلالات الباء في الأفعال الكلامية التأثيرية |
| 82 | خاتمة |
| | قائمة المراجع |
| | ملخص الدراسة |

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمامهم، رسولنا ونبينا وحبينا وشفيعنا يوم الحشر، سيدنا محمد ﷺ، صاحب الرسالة، ومُخرج الأمة من الظلمات إلى النور، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

اللغة العربية تاجُّ اللغات وسيدةُ البيان، ارتضاها الله وعاءً لوحيه لما تحمله من طاقةٍ تعبيرية فريدة، وفي القرآن الكريم بلغت كما لها، فجاء كل لفظٍ فيه موزوناً بالحكمة، وكل حرفٍ ناطقاً بالإعجاز، ومن الأدوات اللغوية التي تقوم عليها اللغة العربية نجد "حروف المعاني"، كونها تحمل دلالات تؤثر في فهم الخطاب وفي توجيه معانيه، وقد نالت هذه الحروف عناية كبيرة في التراث اللغوي، لما لها من دور في بيان المقاصد وتحديد العلاقات بين أجزاء الكلام، لا سيما في القرآن الكريم، الذي تميز بدقة تعبيره وتنوع أساليبه، مما يجعل دراسة حروفه منطلقاً لفهم أعمق لدلالاته.

وفي ضوء النظريات اللسانية الحديثة، برزت الحاجة إلى دراسة الظواهر اللغوية في القرآن الكريم من منظور تداولي يُعنى بالفعل اللغوي ومقاصده التواصلية، ومن أبرز هذه النظريات: نظرية الأفعال الكلامية (Speech Act Theory) التي طوّرها كلٌّ من أوستن وسيرل، والتي تركز على ما ينجزه المتكلم من خلال الكلام، لا على معناه الحرفي فحسب.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، أسمى في هذا البحث المعنون بـ "دلالات حروف المعاني في القرآن الكريم في ضوء نظرية الأفعال الكلامية حرف الباء نموذجاً" إلى دراسة دلالات حروف المعاني في القرآن الكريم، وخاصة في السياقات التي تتضمن أفعالاً كلامية تصريحية (مثل الأمر، النهي، الإخبار، الوعد، القسم...)، وإنجازية، وتأثيرية، في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، محاولة الكشف عن الأدوار التي تؤديها هذه الحروف في إنجاز الفعل الكلامي وتحقيق مقاصده التداولية، لا سيما أن بعض الحروف - كالباء، التي تتعدد دلالاتها تبعاً للسياق المقامي والإنجازي، وذلك بالإجابة على الإشكالية التالية: كيف تُسهم دلالات هذه الحروف في بناء المقاصد القرآنية من منظور تداولي يعكس غنى النص القرآني وأبعاده البيانية؟ ما هو الدور التداولي الذي تؤديه حروف المعاني في بناء المقاصد القرآنية وتوجيه فهم المتلقي؟ وما

العلاقة بين حروف المعاني والأفعال الكلامية في إنتاج المعنى التداولي داخل النص القرآني؟ وكيف تسهم الأفعال الكلامية في القرآن الكريم في تجسيد الوظائف التداولية مثل الأمر، النهي، الوعد، والوعيد؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية والتساؤلات السابقة اعتمدنا على الخطة التالية:

مقدمة، مدخل، فصل نظري، فصل تطبيقي، خاتمة.

افتتحت هذا البحث بمدخل تمهيدي يُعرف بحروف المعاني ونظرية الأفعال الكلامية.

ثم الفصل الأول والذي عنونته ب: "دلالات حروف المعاني والأفعال الكلامية (مقاربة نظرية)"، حيث قسمته إلى مبحثين: **المبحث الأول** تناولت فيه نظرية الأفعال الكلامية بين المفهوم الغربي والتراث العربي، أما **المبحث الثاني** تطرقت فيه إلى حروف المعاني، أنواعها ومعايير تصنيفها، خصائصها، دورها وأهمية البحث فيها، دلالاتها وأثرها في التركيب القرآني حيث استعرضت في هذا العنصر دلالات هذه الحروف من الأكثر وروداً في القرآن الكريم إلى الأقل.

أما الفصل الثاني فقد خصصتُ الجزء الأول لدراسة دلالات حرف الباء في القرآن الكريم، مع الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، وذلك بدراسة تأثير هذا الحرف في تحديد المعنى وإبراز المقاصد في سياقات متنوعة، أما في الجزء الثاني من الفصل، فقد تناولتُ دلالات الباء في الأفعال الكلامية، حيث قمتُ بتحليل بعض الآيات القرآنية التي يظهر فيها حرف الباء في الأفعال التصريحية مثل الإخبار والأمر والنهي، بالإضافة إلى الأفعال الإنجازية مثل الوعد والوعيد والقسم، والأفعال التأثيرية مثل التوجيه والتحفيز، ومن خلال هذه الآيات، تمّ تسليط الضوء على دور الباء في توجيه المعنى وتحديد المقاصد التداولية للنص القرآني، وكيف يسهم في تشكيل الفعل الكلامي وتحقيق تأثيره على المتلقي.

وللإجابة عن الإشكالية السابق ذكرها اتبعت المنهج التحليلي الوصفي الذي يجمع بين التحليل الدقيق للنصوص القرآنية وتوصيف دلالات حرف الباء في الأفعال الكلامية، وفحص السياقات التي يظهر فيها حرف الباء في القرآن الكريم وتحليل تأثيره في تحديد المعنى، مع وصف دور هذا الحرف في تشكيل الأفعال الكلامية، سواء كانت تصريحية أو إنجازية أو تأثيرية، وذلك من خلال تحليل الآيات القرآنية وتفسيرها مع التركيز على السياق اللغوي والدلالي، الذي يعكس العلاقة بين حرف الباء ووظائفه التداولية في الخطاب القرآني.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هو أنني أردت دراسة موضوع في مجال تخصصي، ونظراً لأهمية حرف الباء في القرآن الكريم، ودوره البارز في تشكيل المعاني وتوجيه الأفعال الكلامية، كما أن دراسته ضمن نظرية الأفعال الكلامية يتيح لي فرصة لفهم كيفية تأثيره في تحديد المقاصد البيانية والتداولية للنصوص القرآنية.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على عدة مراجع أهمها:

- "لحظة ميلاد التداولية" للأستاذ صحراوي، الذي يعرض بداية ظهور نظرية التداولية وتطوراتها.
- "التداولية عند العلماء العرب" للأستاذ صحراوي، الذي يناقش كيف تناول العلماء العرب نظرية التداولية وأثرها في تفسير النصوص.
- "معجم حروف المعاني" لمحمد حسن الشريف، الذي يعد مرجعاً مهماً في دراسة حروف المعاني ودورها في فهم النصوص.
- "يسمينة عبد السلام: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، مقال منشور في مجلة المخبر (العدد 14، 201)، الذي يعرض جوانب من نظرية الأفعال الكلامية من منظور أوستين.
- "جامع الدروس العربية" لمصطفى الغلابي، الذي يقدم شرحاً وافياً للقواعد العربية بما في ذلك تحليل الأفعال الكلامية.
- "التحرير والتنوير" لابن عاشور، الذي يقدم تفسيراً دقيقاً وتمعماً للآيات القرآنية، بما في ذلك شرح استعمال الحروف وأثرها في النصوص.
- "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل" للزمخشري، الذي يفسر القرآن الكريم من خلال استعمال الأدوات اللغوية والتفسيرية، وهو مرجع مهم لفهم سياق استعمال الحروف في القرآن.

ومن الصعوبات التي واجهتني في بداية البحث تعسر ضبط العنوان بين هذين العنصرين "حروف المعاني و نظرية الأفعال الكلامية".

ومن أهم الدراسات في هذا الموضوع "دلالات حروف المعاني في القرآن الكريم في ضوء نظرية الأفعال الكلامية نجد أن هناك دراسات تناولت دلالات حروف المعاني في القرآن الكريم منها: مُجَّد حسن الشريف في معجم معاني الحروف، وابن عاشور في التحرير والتنوير، والزمخشري في الكشاف عن حقائق التنزيل، وغيرها من الدراسات، ودراسات تناولت نظرية الأفعال الكلامية وتوظيفها في النصوص نذكر منها: مسعود صحراوي في "لحظة ميلاد التداولية" و"التداولية عند العلماء العرب"، ويسمينة عبد السلام في المقال المعنون بـ "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين" وغيرها، يتضح من خلال عرض الدراسات السابقة أن هناك فصلاً بين الجهود التي تناولت حروف المعاني في القرآن الكريم من جهة، والجهود التي تناولت نظرية الأفعال الكلامية من جهة أخرى، ويلاحظ ندرة الدراسات التي جمعت بين البعدين؛ أي توظيف نظرية الأفعال الكلامية لتحليل حروف المعاني في النص القرآني. وهنا تبرز أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى الجمع بين الدلالة النحوية والبلاغية لحرف الباء، وتحليلها في ضوء الوظيفة التداولية للأفعال الكلامية، مما يُعدّ إضافة علمية في هذا المجال.

وفي ختام هذا البحث، نحن لا ندعي الكمال فيما سطرناه، فالكمال المطلق لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وإنما هو جهد اجتهدنا فيه بقدر استطاعتنا، حرصاً على الإحاطة بجوانب الموضوع وتحقيق أهدافه، فإن أصبنا، فذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن أخطأنا أو قصّرنا، فذلك من أنفسنا، ونسأل الله أن يتجاوز عن الزلل، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لمن يقرأه أو يشتغل به.

ولا يفوتني أن أعبر عن بالغ شكري وامتناني لكل من أسانذتي الأفاضل الأستاذ المشرف بن يوسف شتيح والأستاذ أبو بكر بوقرين، لما بذلاه من وقت وجهد في متابعتي، وما قدّماه من توجيهات دقيقة ونصائح علمية أسهمت في بلورة الأفكار وتطوير مسار العمل، لهما مني خالص التقدير والثناء، سائلةً الله أن يجزيهما عني خير الجزاء، وأن يبارك لهما في علمهم وعملهم.

وأقدم بكل شكري وامتناني لكل أساتذة قسم اللغة العربية على مسانذتي وتوجيهي في مسيرتي الجامعية، أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء ويبارك في جهودهم.

وأوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأساتذة المناقشين الكرام، لما بذلوه من جهد في قراءة هذا البحث، وحرصهم على تقويمه علمياً، وتقديم ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة، وإنني أتلقى تلك

الملاحظات بصدر رحب، وأقدّرها عالياً، لما تمثّله من فرصة ثمينة لتصحيح مواطن الخلل وتطوير هذا العمل العلمي.

وفي الأخير، إن وُفقت في هذا البحث، فذلك بفضل الله وتيسيره، وإن جانبني الصواب في مواضع، فحسبي أنني اجتهدت، وأسأل الله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل

مفاهيم ومصطلحات :حروف المعاني –
الأفعال الكلامية.

توطئة:

مثّلت حروف المعاني في التراث النحوي واللغوي العربي مجالاً جوهرياً لدراسة دلالة التراكيب، لما لها من أثر بالغ في تحديد المعنى، وتوجيه المقاصد داخل النصوص، وخصوصاً في النص القرآني، وقد تميّزت جهود القدماء بدقة التحليل وتنوّع الرؤية، حيث أفردت لهذه الحروف مؤلفات وشروح مطوّلة، من أبرزها: الكتاب لسيبويه، معاني الحروف لأبي الحسن الرماني، والجنى الداني في حروف المعاني للحسن المرادي، والمغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، ومعاني القرآن للفراء، والمقتضب للمبرّد، والخصائص لابن جني، ثم جاءت كتب التفسير لتُعزّز هذا الاهتمام، ومن أبرزها "الكشاف" للزمخشري، الذي اعتنى بتحليل دقيق لدلالات الحروف في السياق القرآني، مبرزاً وظائفها البلاغية، كما نجد معالجة دقيقة لهذه الحروف في "التحرير والتنوير" لابن عاشور، الذي جمع بين المنهج البياني والدراسة التداولية المبكرة في تفسيره، وفيما بعد اتجه بعض الدارسين إلى تجميع واستقراء هذه الدلالات في صيغة معجمية أو تحليلية، كما هو الحال في "جامع الدروس العربية" لمصطفى الغلاييني، الذي قدّم عرضاً مبسّطاً وواضحاً لحروف المعاني ضمن الدرس النحوي، ومعجم حروف المعاني في القرآن الكريم لمحمد حسن الشريف، الذي يُعد مرجعاً معاصراً في تتبع مواقع الحروف في القرآن ودلالاتها السياقية وغيرها من المؤلفات.

ومع تطور العلوم اللسانية في القرن العشرين، شهد الحقل اللغوي تحولاً لافتاً مع بروز المقاربة التداولية، التي نقلت التركيز من البنية إلى الوظيفة، ومن المعنى الثابت إلى الإنجاز الفعلي للفعل اللغوي، وقد مثّل كتاب "*How to Do Things with Words*" (كيف تُصنع الأشياء بالكلمات) لجون أوستين منعطفاً في هذا الاتجاه، حيث قدّم فيه نظرية الأفعال الكلامية التي تفترض أن اللغة لا تكتفي بنقل المعنى، بل تُنجز أفعالاً من خلال النطق بها، وجاء جون سيرل بعده ليطوّر هذا المسار في كتابه "*Speech Acts*" (الأفعال الكلامية)، موضحاً الأطر المنطقية والوظيفية التي تحكم هذه الأفعال، ثم امتدت أصداً هذه النظرية إلى الدرس العربي المعاصر، حيث تناول الأستاذ صحراوي هذا التحول في كتابيه "لحظة ميلاد التداولية" و"التداولية عند العلماء العرب"، رابطاً بين الفكر التداولي

الغربي والجهود التراثية العربية، كما قدّمت سمينة عبد السلام في دراستها "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين" تحليلاً دقيقاً لأصول النظرية وممكنات توظيفها في النص العربي... ومنه نستنتج أنه يوجد تداخل واضح بين الدراسات التراثية والدراسات اللسانية الحديثة؛ حيث أن لهذه الأخيرة جذور في الدراسات التراثية العربية.

وفيما يلي نعرض بعض المفاهيم والمصطلحات :

أولاً: مفهوم الحرف:

لغة: الحَرْفُ من حروف الهجاء: معروف واحد حروف التَّهَجِّي. والحَرْفُ: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل ك:عَنْ وَعَلَى نَحْوَهُمَا، قال الأزهري: كُلُّ كَلِمَةٍ بُنِيَتْ أَدَاةً عَارِيَةً فِي الْكَلَامِ لِتَفْرِقَ الْمَعْنَى وَاسْمَهَا حَرْفٌ، وَإِنْ كَانَ بِنَاؤُهَا بِحَرْفٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ مِثْلَ حَتَّى وَهَلْ وَبَلْ وَلَعَلَّ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ تُقْرَأُ عَلَى الْوَجْهِ مِنَ الْقُرْآنِ تُسَمَّى حَرْفًا، هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود، ابن سيده: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، أراد بالحرف اللغة، قال أبو عبيد وأبو العباس: نزل على سبع لغات من لغات العرب، قال: وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم يُسمع به، قال: ولكن يقول هذه لغات متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة أهل اليمن، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحد.¹

والحَرْفُ فِي الْأَصْلِ: الطَّرْفُ وَالْجَانِبُ، وَبِهِ سُمِّيَ الْحَرْفُ مِنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ... وَقَالَ أَبُو عبيد: وهذه السبعة أحرف التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كُتِبَ فِي مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي اجْتَمَعَ عَلَيْهَا السَّلَفُ الْمَرْضِيُّونَ وَالْخَلْفُ الْمُتَبِعُونَ، وَحَرْفُ الرَّأْسِ: شِقَاؤُهُ، وَحَرْفُ السَّفِينَةِ وَالْجَبَلِ: جَانِبُهُمَا، وَالْجَمْعُ

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط3، سنة 1414 هـ، ج9، ص 41.

أَحْرَفٌ وُحُرُوفٌ وِحْرَفَةٌ... والحَرْفُ من الإِبْلِ: النَّجِيبَةُ المَاضِيَةُ الَّتِي أَنْضَتِهَا الأَسْفَارُ، شُبِّهَتْ بِحَرْفِ السَّيْفِ فِي مَضَائِهَا وَنَجَائِهَا وَدَقَّتِهَا، ... وَحَرْفُ الشَّيْءِ: نَاحِيَتُهُ.¹

اصطلاحاً:

لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للحرف وذلك يعود إلى تعدد أضرب العلم عند علمائنا القدامى، حيث كان جُلُّ اهتمامهم مُنصَباً على حروف المعاني عند النحاة والمفسرين والأصوليين قبل غيرهم، لأجل غاية واحدة وهي خدمة القرآن الكريم، ومن التعريفات الشائعة للحرف نذكر:

أ_ الحرف عند النحويين:

قادنا تعريف الحرف عند النحويين نحو خدمة الحديث على تقسيم الكلِّم، أين يدرج تعريف الحرف ركيزة من ركائزه، حيث قسم عندهم لاسم وفعل وحرف، واختلف في نسبة هذا التقسيم على عدة أقوال تضطرب كل منها في أولية من قال بذلك، فمنهم من قال أنه: علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المنفرد بوضعه هذا التقسيم؛ ومنهم من قال إنه: أبو الأسود الدؤلي دون غيره أي الفكرة مبدأها ومنتهاها إليه.²

يعرف سيبويه الحرف في باب "علم الكلم من العربية" قائلاً: ((وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو: تُمُّ، وسَوْفٌ، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها))³، ومن قوله نستنتج أنه يقصد الحرف.

وهذا التعريف يقابل تعريف علي بن أبي طالب عليه السلام ويشابه معنى الحرف لا يكون إلا إذا تعلق بما

بعده.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ص 41.

² فانة جيلالي، سني قدور، حروف الجر في القرآن الكريم دراسة دلالية - سورة الفرقان نموذجاً، رسالة لنيل درجة ماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، سنة 2021_2022م، ص 10.

³ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار عالم الكتب، ط3، سنة 1403هـ/1983م، ج1، ص12.

عرف أبو القاسم الزجاجي (339هـ) الحرف بأنه ما دل على معنى في غيره،¹ غير أن هذا التعريف رغم شيوعه في المدونات اللغوية اعترض عليه بعض العلماء كونه يفتح مجال دخول أسماء الاستفهام تحته، ولهذا وجب ضبطه وتفسيره أكثر.

عرفه أيضاً أبو نصر الفراءى متأثراً بمنهج المنطقة: الأداة، يعني الحرف لفظ يدل على معنى مفرد لا يمكن أن يفهم وحده دون أن يقترن باسم أو كلمة.²

وعرفه محمد بن الوليد بـ"الوصلة" في قوله "يستدل على الحرف بأنه وصلة الشيء بالشيء تأكيداً على وظيفة الربط بين أجزاء الجملة، التي تميز بين هذا النوع من الكلمات والمعنى التعليق الذي تدل عليه"، قال الحريري في ملحته:

والحرف ما له علامة
فقس على قولي تكن علامة

مثاله حتى ولا وثما
وهل وبل ولو ولم ولما

وما يستنتج من كلامه أن الحرف هو ما خلا من العلامة علامه له، تخرجه من الاشتباه، وتزيل عنه الالتباس.³

ويعرفه يحيى بن عبد المعطي المغربي (ت: 628هـ) منظوماً في ألفيته:

والحرف لا يفيد إلا..... في غيره بهل أتى المعلى.⁴

¹ الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء المعنى، منشورات جامعة خان يونس، بنغازي، ليبيا، د، ط، 1996م، ص 34.

² الزبيدي الأندلسي أبو بكر محمد ابن الحسن، طبقات النحويين و اللغويين، تح: أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط، 1984، ص 2.

³ الصادق خلفية راشد، دور الحروف في أداء المعنى، ص 12.

⁴ الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: علي توفيق محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دار الأربد، الاردن، ط، 2، ص 405.

ب_الحرف عند المفسرين:

ركز المفسرين على الحروف المقطعة التي ابتداءً بها الله عز وجل عديد السور القرآنية، بغرض الإجابة عن

سؤال: ما السر وراء ذلك؟

ومن جهة أخرى وقفوا عند الأحرف على أنها سبعة قراءات محتجين على ذلك ببعض الشواهد، فمثلاً من القدماء: قال ابن كثير: "مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي: ل، م، ص، ر، ك، ي، ع، ط، س، ح، ق، ن، يجمعها قولك: "نص حكيم قاطع له سر" وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك، ويبيان ذلك من صناعة التصريف، أي أنه أحصاها وعدّها".

نقل القراء عن أبي حاتم قوله: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله بها، أي أن المراد من إيرادها في القرآن الكريم من الغيبات التي إختص الله بها نفسه.

ومن الباحثين المعاصرين نجد الدكتور مبارك والأستاذة بلنشو: "كانت عصارة بحوثهم أن هذه الحروف تشابه الموسيقى القديمة البسيطة التي كان يشارك لإلحاحها بالحروف والحرفين والثلاثة".¹

ج: الحرف عند المناطق:

جابر بن حيان (ت: 200هـ) عرف الحرف بقوله: "أنظر إلى الحروف كيف وضعت على الطبائع وإلى الطبائع كيف وضعت على الحروف، وكيف تنتقل الطبائع إلى الحروف، والحروف إلى الطبائع".²

¹البطلبيوسي ابن سيد عبد الله، (ت: 521هـ)، إصلاح الخلل الواقع في جمل الزجاجي، تح: حمزة عبد الله النشقي، دار المريخ، الرياض، م، ع، السعودية، ط، 1399هـ-1989م، ص30.

²ابن الخشاب عبد الله بن أحمد المرتجل، تح: علي حيدر، د، ط، 1972هـ، ص124، ومجاهد منصور مصلح، معنى الحرف بين النحاة و الأصولين _ دراسة نحوية دلالية، مجلة شؤون العصر، صنعاء، اليمن، العدد21، شهر رجب رمضان أكتوبر ديسمبر 1426هـ-2005م، ص9.

ومن خلال قوله نجده قد ربطه بالطبائع والظواهر الكونية، وهذا ما يقويه قول الشيخ مُحَمَّد آل عبد الجبار (ت:350هـ): "أن هذه الحروف لها تأثير ولكن بنحو اقتضائي سواءً في الكشف أم في ترتيب الأثر"¹

قسم أبو نصر الفراءي (ت:350هـ) الألفاظ الدالة إلى اسم وكلم: والكلم هي التي يسميها أهل العلم باللسان العربي الأفعال، ومنها ما هو مركب من الأسماء والكلم، فالأسماء مثل: زيد وعمرو...، وبالجملة كل لفظ مفرد دال على المعنى من غير أن يدل بذاته على زمان، والكلم هي الأفعال مثل: مشى ويمشي وسيمشي وبالجملة فإن الكلمة لفظة مفردة تدل على المعنى وعلى زمانه، فبعض "الكلم" يدل على زمان سالف مثل كتب وضرب.²

ثم يواصل فيما بعد الحديث عن الحرف قائلاً فيه: "التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت دالة على معان وهذه الحروف هي أيضاً أصناف كثيرة غير أن العادة لم تجر من أصحاب علم النحو العربي إلى زماننا هذا بأن يفرد لكل صنف منها اسم يخصه، فينبغي أن تستعمل في تعديد أصنافها الأساسية التي تأتي إلينا عن أهل العلم بالنحو من أهل اللسان اليوناني فإنهم أفرادوا كل صنف منها باسم خاص، فصنف منها يسمونه الواصلات، وصنف منها الواسطة، ومصنف منها يسمونه الحواشي، و صنف منها يسمونه الروابط، وهذه الحروف منها قد يقرون بالأسماء، ومنها ما قد يقرون بالكلم و منها ما قد يقرون بالمركب منها، وكل حرف من هذه قرن بلفظ فإنه يدل على أن المفهوم من ذلك هو اللفظ بحال من الأحوال."³

النحاة في نظر الفراءي يرون أن للحروف معانٍ كثيرة لكن لم يعثروا على إسقاط المسميات عليها كما فعل اليونانيون باستحداث مصطلحات كالحواف والواصلات... الخ، ولقد فصل لكل نوع من

¹ عبد الله بن أحمد الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تح: عباد بن عبد النبي، دار المغرب الإسلامي، ط، 1968م، مج، ص170.

² الفراءي، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، ص41_42.

³ زكي نجيب محمود، سلسلة إعلام العرب جابر بن حيان، المركز العربي للثقافة و العلوم، بيروت، لبنان، د، ط، د، ت، ص119.

الأنواع سرحاً وتمثيلات، فيكون بذلك مكن أوائل من طبق النحو اليوناني على التركيب اللغوي العربي ليحقق الهدف من الدراسة المنطقية.¹

الرازي أحمد المظفل بن المختار (ت: 631هـ) قسم الحروف لثلاثة أنواع: فكرية ولفظية وخطية، فقال: "الحروف الفكرية هي صور روحانية في أفكار النفوس مصورة في جوهرها، إخراجها، معانيها، ألفاظ الحروف اللفظية هي أصوات محمولة في الهواء مدرك بطريقة الأذنين بالقوة السامعة و الحروف هي: نقوش ختت بالأقلام في وجوه الألواح وبطن الطوامير، مدركة بالقوة الناظرة بطريقة العينين .

والحروف الخطية وضعت ليُبدل بها على الحروف اللفظية.

والحروف اللفظية وضعت ليُبدل بها على الحروف اللفظية.

والحروف اللفظية وضعت ليُبدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل.²

ومنه فالحروف اللفظية ما يتلفظ به كأصوات من الحروف العربية المعروفة، أما الخطية فهي ما يكتب.

د: الحرف عند اللغويين:

تابع ابن حني (ت: 392هـ) في تقسيم سيبويه ممن جعل الكَلِم ثلاثة أقسام: اسم وفعل و حرف جاء لمعنى³، ثم يخص الحرف بالتعريف فيقول هو: ((ما لم تحسن فيه علامة من علامات الأسماء ولا

¹ مُجَّد آل عبد الجبار، الشهب النواقب لرجم شياطين النواصب، تح: حلمي السنان، ط1، 1418هـ، ص212، وطارق بن سعيد القحطاني، أسرار الحروف و حساب الجمل، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، كلية الدعوة و أصول الدين بجامعة أم القرى، م، ع، السعودية، إشراف الدكتور: مُجَّد يسري جعفر، 1429هـ_2008م، 1430هـ_2009م و ما بعدها.

² نفسه، ص28.

³ الزجاجة أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط5، 1406هـ-1986م، بيروت، لبنان، ص54.

علامات الأفعال وإنما المعنى في غيره نحو: هل وبل وقد ولا تقول من هل ولا قد هل ولا تام ربه))،¹ فمائل بهذا التعريف السابقين، مشيراً لعللة تسمية الحروف بالأدوات... ومن هذا سمي أهل العربية أدوات المعاني حروفاً نحو: من، قد، في، هل، بل، وذلك لأنها تأتي في أوائل الكلام وأواخره في غالب الأمر فصارت كالحروف والحدود له".

كما فرق ابن جني بين الصوت والحرف فقال: هو أي الصوت: "عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم ومقاطع تفتنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً".²

ونستنتج من قوله: أن الحرف في حيز يجمع بين عنصرين من عناصر العملية الكلامية، وعلى ذلك فالعلاقة بين الصوت اللغوي والحرف علاقة ترادف.

عرف علي ابن اسماعيل ابن سيده (ت: 458هـ) الحرف قائلاً: "الحرف من الهجاء معروف، والحرف الأداة التي تسمى الرابط، لأنها تربط الاسم والفعل بالفعل وعلى نحوها"،³ فجعل الحرف والأداة والرابط بمعنى واحد من منطلق الوظيفة.

هـ: الحرف عند اللغويين المحدثين:

قاربت تعريف النحويين كما جاء في الوسيط قالوا: هي التي تدل على معان في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، وتتركب من طرف أو أكثر من حروف المباني،⁴ فجمعوا بين الوظيفة والدلالة والبنية، ولا يذهب الدكتور تمام حسان بعيداً عن سياقه عندما يؤكد العلاقة المبنية بين الصوت والحرف: "ومثل

¹ السهيلي أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تح: محمد ابراهيم البناء، دار الرياضي للنشر و التوزيع، ط2، د، ت، ص83-112.

² نفسه، ص83-112.

³ ابن جني، ت: 392هـ) للمع في العربية، تح: سميح او مغلي، دار مجد لاوي للنشر، عمان، 1988م، د، ت، ص16.

⁴ مجموعة من المؤلفين؛ ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، مصر، د، ط، د، ت، ج1، ص167.

الأصوات والحروف في علاقة كل منهما بالآخر مثل الطلاب والصفوف، فالطالب حقيقة مادية والصف وحدة تقسيم... لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات، والصف مثله عنوان على عدد من الطلبة، أي: أن الصوت والطلاب حقيقتان ماديتان، والحرف والصف قسمان من نظام يضم غيرهما من الأقسام، فجعل الحروف تسميات تطلق ويراد بها أصوات معينة.

ثانياً: مفهوم المعنى:

لغة: ترجع كلمة "معنى" إلى الجذر الثلاثي (ع ن ي)؛ يقول الأزهري: "أخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى قال: المعنى والتفسير والتأويل واحد، وقال أبو سعيد: عنيت فلاناً عنياً، أي: قصدته، ومن تعني بقولك؟ أي: من تقصد؟ وعناني أمرك، أي: قصدني".¹

وجاء في مختار القاموس: "عناه الأمر - يعنيه ويعنوه - عناية: أهمه و اعتنى به... وعنى الأمر يعني: نزل

وحدث، و عنى بالقول كذا: أَرَادَ، ومعنى الكلام، ومعنيه ومعناته ومعنيته: واحد"²

من التعاريف السابقة فإن معنى كلمة (المعنى) في اللغة هو: القصد والتفسير والتأويل والمراد.

اصطلاحاً:

"المعنى هو الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها اللفظ، أي من حيث إنها تقصد من اللفظ، وذلك إنما يكون بالوضع"³

وجاء في البيان والتبيين أن المعاني ما تخفى في الصدور، وما يتصور في الأذهان بحيث لا تظهر تلك المعاني إلا بذكرها.⁴

مما سبق نستنتج أن المعنى صورة ذهنية يتصورها العقل باللفظ.

ثالثاً: مفهوم حروف المعاني:

¹ أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد الرحمن مخيمر، ط1، دار الكتب العلمية؛ بيروت، لبنان، ج2، ص407_408.

² الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ص442.

³ محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ج2، ص1600.

⁴ الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص75.

بعد أن تطرقنا لمفهوم كل من الحرف والمعنى، نجمل القول هنا في تعريف حروف المعاني.

هي (حروف المعاني): "كل حرف أو شبه حرف له وظيفة نحوية أو صرفية أو صوتية أو ذات دلالة"¹ ويراد بها أيضاً: "الحروف قسيمة الأسماء والأفعال التي تجيء مع الأسماء و الأفعال لمعان، وتكون عوضاً عن جمل، و تفيد معناها بأوجز لفظ، فحروف العطف جيء بها عوضاً عن أعطف، وحروف الاستفهام جيء بها عوضاً عن أستفهم"²؛ أي: أن حروف المعاني هي أقسام الكلام، تأتي هذه الحروف مرتبطة باسم أو فعل لتفيد معنا ما.

وحروف المعاني: "كلمات لا يتم مدلولها إلا باستعمالها مع الاسم والفعل"³؛ أي: أنها لا تفيد معنى في نفسها وإنما معناها مرتبط بما يقترن بها.

من خلال هذه التعريفات نستنتج ما يلي:

- حروف المعاني قسم من أقسام الكلم.

- حروف المعاني هي اختصار لبعض الجمل.

- حروف المعاني لها وظائف ذات دلالة.

- حروف المعاني لا يتبين معناها إلا باسم أو فعل ترتبط به.

رابعاً: مفهوم الفعل الكلامي:

شاع استخدام مصطلح الفعل الكلامي (العمل اللغوي، الفعل اللغوي، الفعل الإنجازي) بين الدارسين فاختلقت تعريفاته لاختلاف المرجعيات التي ينطلقون منها، ومنه فإن الفعل الكلامي هو: "التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية"⁴.

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، مج1، 1417هـ-1996م، ص(ر).

² محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ط1، مكتبة الاداب، القاهرة، ص108.

³ أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، ط1، مكتبة لبنان، ص128.

⁴ حكيمة بوقرة، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم- مقارنة تداولية- منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، ع3ماي، 200، ص11.

ويُعرفه الأستاذ صحراوي في كتابه بأنه: "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري".¹

و يعد "أوستين" أول من قال أن اللغة نشاط وعمل ينجز أي: أن المتكلم لا يخبر ولا يبلغ فحسب، بل إنه يفعل أي عمل ويقوم بنشاط مدعم بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال، فالغة ليست بُنى و دلالة فقط، بل هي أيضاً فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضاً، فهو عمل يطمح من خلاله أن يُحدث.²

فالكلام من هذا المنظور هو عملية تبادل الأخبار، أي: أن فهم الكلام وإدراك معانيه يعني معرفة مضمونه الإخباري و تحديد غرضه التداولي وقوته الإنجازية.

وبالرجوع إلى ما كتبه مؤسس هذه النظرية الفيلسوف "أوستين" وتلميذه "سيرل" الذي عمل على تطوير هذه النظرية فإن الفعل الكلامي يعني: "التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"³، ومن ثم يراد بفعل الكلام "النطق ببعض الألفاظ والكلمات المتصلة على نحو ما بمعجم معين مرتبطة به و خاضعة لنظامه"⁴، ومنه نجد أن الفعل الكلامي يحتل موقعا متميزا في كثير من الأبحاث التداولية والبحث فيه هو بحث في صميم ولب التداولية.

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2005، ص40.

² خولة الطالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، (د ط)، الجزائر، 2002م، ص161.

³ نفسه، ص10.

⁴ جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د ط)، 1991، ص116.

الفصل الأول

دلالات حروف المعاني والأفعال الكلامية:

"مقاربة نظرية".

تمهيد:

اهتم العلماء العرب بوظيفة اللغة في التأثير والإقناع، وهو ما يقترب بشكل كبير مع نظرية الأفعال الكلامية التي رغم حداثةها في الفكر الغربي، إلا أنها تتقاطع بشكل كبير مع ما تناوله العلماء العرب منذ القدم، ويتجلى هذا التقاطع في ثلاث مجالات رئيسية: البلاغة "تأثير الكلام ووظيفته"، وأصول الفقه "دلالات الألفاظ والأفعال الإنجازية"، والدراسات النحوية "الحروف ووظائفها الإنجازية"، فالكلام ليس مجرد ألفاظ، بل هو أداة تؤدي وظائف مؤثرة، وهو ما يتلاقى مع فكرة أن اللغة ليست فقط وسيلة لنقل المعنى، بل أداة للتأثير والفعل، فالأفعال الكلامية تشكل جزءاً من معاني الجمل، حيث أن حروف المعاني مثل: (أدوات النفي، والظروف، وحروف الجر)، تلعب دوراً مهماً في تحديد الفعل الكلامي في الجملة.

ومنه فإن حروف المعاني ليست مجرد أدوات أو تنظيم، بل هي عناصر أساسية تُسهم في بناء الأفعال الكلامية وتحديد طبيعة التواصل بين المتحدث والمستمع.

وفي هذا المجال يندرج اهتمامنا حول نظرية الأفعال الكلامية التي تعد من أهم محاور اللسانيات التداولية كونها النشأة الأولى لها، وما يقابلها في تراثنا العربي "حروف المعاني"، التي تربط بين تربط بين جزأين، وتأتي مع كل من الأسماء والأفعال لتدل عليها، وبالتالي فهي قسيمة كليهما، لهذا سنركز في هذه الورقة البحثية على دراسة هذه الأفعال وبيان نقطة تقاطعها مع حروف المعاني في التراث العربي، حيث أن كليهما يؤدي دوراً دلالياً في بناء المعنى وصياغة التركيب اللغوي.

المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية بين المفهوم الغربي و التراث العربي:

المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب:

أولاً: عند أوستين:

يرى أوستين أن العبارات اللغوية (الصيغ الخبرية) لا تستعمل فقط لوصف الواقع، لأن في تحليل هذه العبارات انحرافاً منذ البداية بسبب تأثير النمط التمثيلي والنمط الوصفي.¹

قام أوستين بعزل الجمل التي تبدو في ظاهرها خبرية ومع ذلك لا توصف بصدق ولا كذب، ثم توصل إلى اكتشاف ظاهرة الأفعال الكلامية واقترح لها تصنيفاً.²

وكذلك فرضية "نقد المغالطة" والتي تتمثل في أن وظيفة الوصف المهمة الوحيدة والأساسية للغة في التصور والخطاب هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة لا غير، ثم دراستها وتحليلها منطقياً، والتي تنتقد الموقف الفلسفي المرتبط بالوضعانية المنطقية التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تنفيذها، مثلاً: أعدك أن أحضر في المكان كذا على الساعة كذا...؛ مفاد هذه العبارة أنه يعطيه وعداً، فهو لا يقول شيئاً صادقاً أو كاذباً عن حالته الذهنية، بل يُلزم نفسه بفعل معين وهذا ما ذهب إليه بعض الفلاسفة الغربيين، أما أوستين فقد جعل من اللغة موضوع بحث فلسفي خاص، وذلك لأنه قام بإعادة النظر في دراسة العبارات اللغوية، والتي أخطأ الفلاسفة بنظره في تقديرها، وانتهى باكتشافه للمثير (عندما نقول شيئاً فنحن نفعل شيئاً؛ فالقول هو الفعل).³

وانطلاقاً مما سبق توصل أوستين إلى تقسيم الأقوال إلى تقريرية (وصفية) وإنجازية كالتالي:

¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، بحث في التأسيس النظري للظاهرة مع مراجعة مفاهيمية للمصطلح وربط بالتراث العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص123.

² ينظر: نفسه، ص125.

³ ينظر: نفسه، ص126-127.

1: الأقوال التقريرية: وهي تلك الأقوال التي تصف حالا معيناً لشيء أو لشخص، ويسمىها الأفعال التقريرية، وقد سماها العرب بالأساليب الخبرية. وهي أن الكلام إن احتل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب يسمى كلاماً خبرياً، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع.¹

2: الأقوال الإنجازية: فهي لا تصف ولا تخبر، ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب، وتكمن ميزتها الأساسية في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع كأن تقول:

1- أعلن الجلسة مفتوحة.

2- أتحدّك على صعود الجبل.

3- أمرك بفتح الباب.

لا بد أن تتوفر في هذه الأقوال مجموعة من شروط، فقول القاضي (أعلن الجلسة مفتوحة) ينتج عنه فعل الانفتاح. والمثال الثاني يمثل فعل التحدي، وللتحدي شروط أهمها القدرة على القيام به. أما المثال الثالث فيمثل الأمر، ولتحقق الأمر لا بد أن يوجد أمر ومأمور ونسق قانوني يسمح بتحقيق الأمر.²

ميز أوستين بين نوعين من الأقوال الإنشائية:

أ: أقوال صريحة (مباشرة): تكون فيها بنية القول اللغوية شاملة للعناصر الدالة على الإنشاء، وتسمى الأقوال الإنشائية الصريحة، وتحقق بإسناد الفعل الدال على الزمن الحاضر إلى ضمير المتكلم المفرد، مثلاً: بالعودة إلى الفقه الإسلامي في ركنه الخاص بالمعاملات هو صياغة للأفعال الكلامية، ومنه "البيع"

¹ ينظر: يسمينه عبد السلام، "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، مجلة المحجّبر، العدد 14، 2014، ص 107.

² نفسه، ص 108.

الذي يشترط لتحقيقه أفعالاً كلامية مباشرة بين البائع والمشتري، كقول البائع: (بعث) وقول المشتري: (اشترت).¹

ب: أقوال غير المباشرة: تعرف بكونها غير صريحة (غير مباشرة)، وهي الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما يدل ظاهرها، وتحقيق هذه الأفعال يتوقف على عوامل معينة من السياق اللغوي والحال أو وضعية التبليغ، ويسميتها أوستين الأفعال الإنشائية الأولية للفعل الإنشائي الصريح، إن الفعل الأولي للقول: "أمرك بغلق الباب" هو "أغلق الباب"، والصيغة اللغوية الدالة على هذا الفعل هي صيغة الأمر، مثلاً: هل يمكنك أن تناولني الملح؟، ظاهرها استفهام، ولكن دلالتها لا تشير إلى الاستفهام، إنما تشير إلى الطلب.²

غير أن أوستين اكتشف بعد ذلك أن الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلاً إنشائياً، مثل: "رفعت الجلسة"،³ فاقترح ثلاثة أصناف من الأفعال (actes) التي لا تتعلق بالقول (أي بالتلفظ) فقط، بل هي أعمال وسلوكات ذات طبيعة اجتماعية، مؤسسية،... تتم بمجرد التلفظ بها، وهي:

أ: فعل القول : « locutionary act »: ويراد به: "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة".⁴

ف فعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، لكن أوستين يسميها أفعالاً، ويصنفها كالآتي:

✓ **الفعل التركيبي**: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة بعينها.

¹ ينظر: يسمينه عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، ص 108.

² ينظر: نفسه، ص 108-109.

³ ينظر: نفسه، ص 109.

⁴ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 141.

✓ **الفعل التركيبي:** ويؤلف من مفردات طبقا لقواعد لغة معينة.

✓ **الفعل الدلالي:** وهو توظيف هذه الأفعال حسب معاني وإحالات محددة.¹

فقولنا مثلا: "إنها ستمطر" فالمعنى العام للجملة مفهوم، ومع ذلك لا ندي أهى إخبار "بأنها ستمطر"؟، أم تحذير من "عواقب الخروج في رحلة"؟، أم أنها "أمر بحمل المظلة"؟، وغير ذلك.²

ب: الفعل المتضمن في القول: « illocutionary act »: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "أنه عمل ينجز بقول ما".³ وهو الذي يدل على عمل، أي: العمل الذي ينجم عنه الحديث، والذي يمارس قوة على المتخاطبين.⁴

وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، أو "الأفعال المتضمنة في القول"، أو الإنجازات توخيا للاختصار. ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذر، وعد... فالفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني "قيام بفعل ضمن قول شيء ما"، في مقابل الأول الذي "هو مجرد قول شيء ما".⁵

ج: الفعل الناتج عن القول: « perlocutionary act »: وسماه البعض "الفعل التأثيري، حيث يقول أوستين عن هذا الفعل لكي ننجز فعل الكلام، ومن ثم الفعل الغرضي "قوة فعل الكلام"، لا بد أن ننجز نوعا آخر من الأفعال، فحين نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على مشاعر المخاطب أو أفكاره أو تصرفاته،⁶ مثل: "الإقناع، التضليل، الإرشاد...".

¹ يسمينه عبد السلام، "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، ص 109.

² ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 142.

³ نفسه، ص 142.

⁴ يسمينه عبد السلام، "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، ص 110.

⁵ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 142.

⁶ يسمينه عبد السلام، "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، ص 110.

ونلخص الفعل الكلامي كالتالي:

الفعل الكلامي الكامل = فعل القول + الفعل المتضمن في القول + الفعل الناتج عن القول.

ولكل فعل كلامي عند أوستين ثلاث خصائص: أن يكون: فعل دال، فعل إنجازي، فعل تأثيري.¹

• تصنيف أوستين للأفعال الكلامية من حيث دلالتها:

قسم أوستين الأفعال الكلامية من حيث دلالتها إلى مجموعات وظيفية، كالتالي:

❖ **الحكميات: «Verdictives»**: وهي الأفعال التي تبت في بعض القضايا التي تتركز في

سلطة معترف بها رسمياً أو سلطة أخلاقية، ولا يشترط أن تكون إلزامية، فهي تدل على التعميم أو التقويم...، مثل: "أفعال التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل، إصدار مرسوم".

❖ **الأمريات: «Ditectives»**: هي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها القوة في فرض

واقع جديد، وهو تحكيم أكثر منه تقدير، وقرار أكثر منه حكم. مثل: الانتخابات، التعيين الرسمي.

❖ **الوعديات: «commissives»**: هي أفعال الكلام التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية

القيام بعمل معترف به من قبل المخاطب، إن المتكلم يتفوه بكلام يؤسس به وجوب القيام بمحتوى قوله، ويحمل المخاطب على الاعتراف بهذه الإلزامية، مثل: القسم، الرهان، التعهد، الضمان.

❖ **التبيينيات: «Expositives»**: وهي أفعال تدخل في علاقة ما يقوله المتكلم عند

الحديث عن طريق الحجاج، مثل: الإثبات، النفي، الوصف، التعريف، التأويل، التوضيح.²

¹ يسمينه عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، ص 110.

² ينظر: نفسه، ص 111-112.

❖ السلوكيات: « Behabitives »: وهي إظهار مشاعر نفسية إزاء ما يحدث في الآخرين، ومن أمثلتها: شكر، عزي، انتقد.¹

ثانياً: عند سيرل:

عدل سيرل في كثير من كثير من التصنيفات، وزاوج بين رأيه ورأي أستاذه أوستين وأراء غيره من الفلاسفة اللغويين، وعليه فإن عمله يعد بمثابة إضافة نوعية تتجلى قيمتها الفلسفية و مردوديتها اللسانية من خلال دراسته المعمقة لمفهوم "القوى الإنجازية"، لأن "فلسفة اللغة" عنده جزء أساسي من "فلسفة العقل".²

إضافة إلى إعادة التصنيف قدم سيرل تصورا آخر لفلسفة اللغة والمنطق "الأفعال المتضمنة في القول" وسماها "القوى الإنجازية"، ثم أدخل ضمن "الإنجازات" ظاهرة كلامية فرعية سماها "الأفعال الكلامية غير المباشرة".³

"قام سيرل بإعادة تقسيم الفعل الكلامي، وميزه في أربعة أقسام فأبقى القسمين الأخيرين (الإنجازي والتأثري) على حالهما، مع تقسيم النوع الأول إلى: (نطقي وقضوي) ويمكن توضيح هذه الأفعال من خلال الجمل التي عرضها أحمد محمود نحلة في قوله: " - يقرأ زيد الكتاب - أيقراً زيد الكتاب؟ - يا زيد ، اقرأ الكتاب - لو يقرأ زيد الكتاب !. عند النطق بأي من هذه الجمل ينجز المتكلم ثلاث أنواع من الأفعال في وقت واحد:

• الفعل النطقي « utteranceact » : ويتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي.

¹ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 151.

² ينظر: نفسه، ص 159.

³ ينظر: نفسه، ص 160.

- **الفعل القضوي « propositionalact »**: ويتمثل في مرجع هو محور الحديث فيها جميعا، هو زيد في الجمل الأربع، وخبر هو فيها جميعا قراءة الكتاب، والمرجع و الخبر يمثلان معا قضية «**proposition**» هي:قراءة زيد الكتاب، والقضية هي المحتوى المشترك «**common content**» بينها جميعا.
- **الفعل الإنجازي**: وهو الإخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية، و الأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة.
- وينبغي أن نشير إلى أن **الفعل التأثري « perlocutionaryact »** ليس له أهمية كبيرة عند سيرل، لأنه ليس من الضروري عنده أن سكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما.¹

يتفق سيرل مع أستاذه في مفهومه لوظيفة اللغة، كونها فعل وسلوك اجتماعي،² وقسم بنية الفعل الكلامي إلى مستويين:

- مستوى دلالي (منطقي) وسماه محتوى القضية «**contenu proposiotinnel**».
- مستوى تداولي وسماه القوة الإنجازية «**force illocutoire**».³

و تتمثل أكبر مظاهر التعديل التي أجراها سيرل على عمل أستاذه أوستين في أنه ميز بين مفهومين: مفهوم "فعل القول"، و مفهوم "فعل القوة"، فوافقه في أن الأول هو "الفعل اللغوي" ذو المعنى المحدد في لغة من اللغات، أما الثاني فهو "ملء" هذا اللفظ ب"قوة إنجازية" معينة، كأن يكون فعل القول ظاهرة "الاستفهام"، و لكن القوة/القيمة التي يتضمنها هي "الإنكار"؛ و لكن ما أضافه سيرل أنه قد

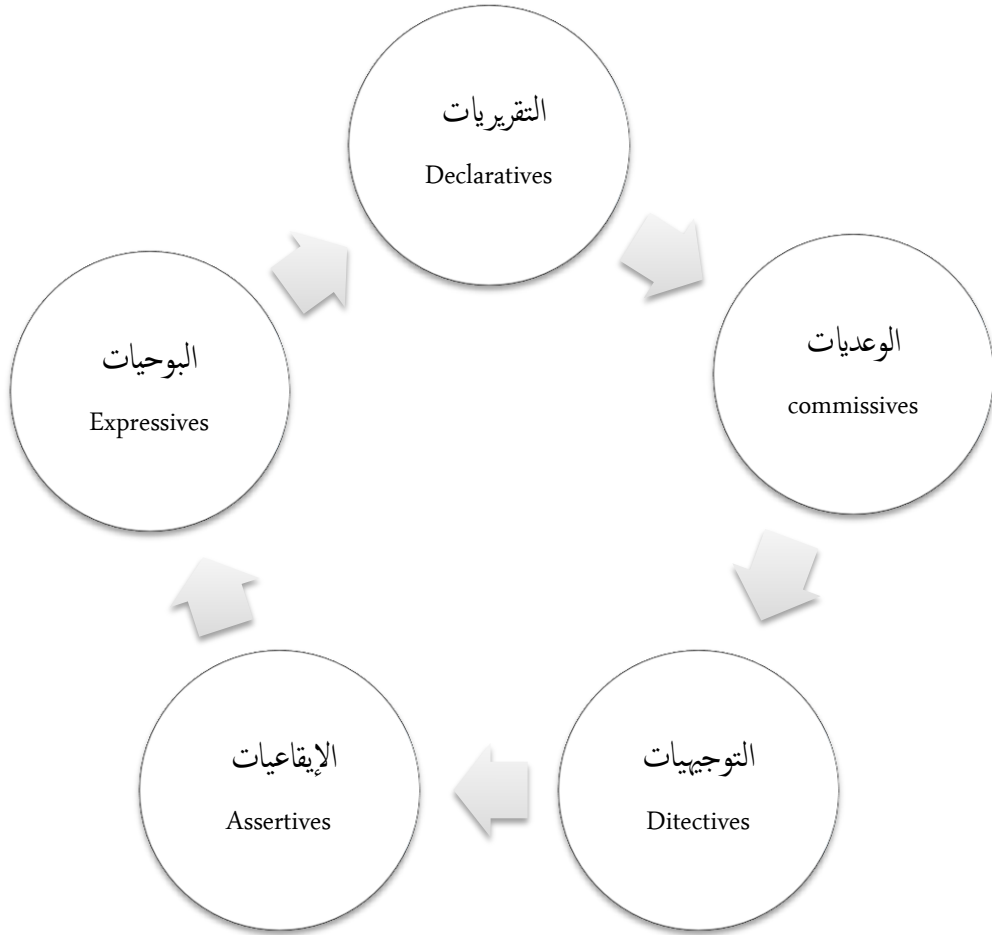
¹ نجاة مطاوي، يوسف بن زحاف، نظرية الأفعال الكلامية بين جون أوستين وجون سيرل وأهميتها في اللسانيات التداولية، العدد 01، المجلد 10، 10 ماي 2023، ص 1549-1550.

² ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 161.

³ ينظر: نفسه، ص 164-165.

يتداخل الفعلان، فيكون التلفظ بجملة ما خاليا من "القوة الإنجازية"، بل يكون ما تدل عليه معنى ظاهريا خاليا من أي فعل متضمن في القول.¹

ومن ما سبق يمكن أن نصنف الأفعال الإنجازية عند سيرل في المخطط التالي:



¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 164-165.

و في ما يلي عرض لأغراضها:¹

| | |
|------------|--|
| التقريريات | <ul style="list-style-type: none"> • غرضها: التقرير. • من أمثلتها: التأكيد، الإجابة، الإنكار، التلخيص،... |
| الوعديات | <ul style="list-style-type: none"> • غرضها: الوعد. • من أمثلتها: الوعد، الإلتزام، التعاقد،... |
| الأمريات | <ul style="list-style-type: none"> • غرضها: الطلب. • من أمثلتها: الأمر، النهي،... |
| الإبقاعيات | <ul style="list-style-type: none"> • غرضها: إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي. • من أمثلتها: التقرير، الاستقالة، التعريف، التسمية،... |
| البوحيات | <ul style="list-style-type: none"> • غرضها: التعبير عن مشاعر حيال الواقع. • من أمثلتها: الشكر، التهنية، الترحيب، الاعتذار، التعزية،... |

¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 178.

● الأفعال الكلامية غير المباشرة و الاستلزام التخاطبي:

اهتم سيرل بظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة (indirect speech acts) وهي الأفعال الكلامية التي ترد في العبارات و الأساليب غير المباشرة وتدل دلالة حرفية، و من أشهر العبارات التي يستدل بها في هذا الموضوع: "هل يمكنك أن تناولي الملح؟"، التي ظاهرها الاستفهام لكن دلالتها الطلب.¹

الاستلزام الحوارية أو ما يسميه غرايس "التلويح الخاص"، ويتطلب هذا النوع من الاستلزام سياقاً خاصاً ومجدداً، لأجل التوصل إليه، ولأنه يتعلق بالمناسبة، أي أنه يتغير تبعاً لتغير السياقات التي يرد فيها الخطاب. والذي يعرف بأنه: "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر".²

أما في الاستلزام التخاطبي فقد استفاد من تداولية جرايس، حيث استعار منه آلية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، وطبقها على الأفعال الكلامية غير مباشرة، ويتجلى ذلك في الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية غير المباشرة. ومنه فإن العلاقة بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحوارية علاقة وطيدة، وترتد إلى عدة أشياء: كلاهما يدرس ظاهرة واحدة وهي "قصد المتكلم"، والمؤسسان ينتميان إلى مدرسة فكرية واحدة.³

¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 187.

² سمية أحمد سالم، نعمة دهش فرحان الطائي، 30 أيلول 2022م-1444هـ، "الاستلزام الحوارية ومبدأ التعاون التخاطبي"، مجلة نسق، مج 35، عدد 10، ص 216.

³ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 18-190.

المطلب الثاني: ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي:

تندرج الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث "علم المعاني" وتتحدد ضمن الظاهرة الأسلوبية الموسومة "بالخبر والإنشاء" أو "الطلب"، وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة النحاة والبلاغيون والأصوليون، كما انفرد الفلاسفة والمناطق بدراسة الخبر بعد أن ميزوه عن الإنشاء، وبينوا حدود كل منهما. ومرت نظرية "الخبر والإنشاء" بمراحل انتقلت فيها من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة بعد أن خضعت مصطلحاتها لبحوث مستفيضة وآراء مختلفة ليستقر في الأخير جهازها المصطلحي و المفاهيمي.¹

ومن الذين أسسوا هذه الثنائية في تراثنا وعمقوا البحث فيها: سيبويه (ت حوالي 180هـ)، وأبي نصر الفارابي (ت حوالي 338هـ)، والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي (ت حوالي 415هـ)، وأبي علي بن سينا (ت حوالي 428هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت حوالي 471هـ)، ونجم الدين الكاتبي القزويني (ت 493هـ)، وأبي يعقوب السكاكي (ت 626هـ)، و رضي الدين الإستراباذي (ت 686هـ)، ومُحَمَّد بن علي الجرجاني (ت 927هـ)، وغيرهم،...²

هذا، و تقتصر دراسة أولئك العلماء لهذه الظاهرة على التراكيب الدالة المفيدة دون غيرها، و في هذا الصدد بين السكاكي أن موضوع علم المعاني هو: "تتبع خواص تراكيب الكلام..."، ثم أوضح مفهومه لخواص تراكيب الكلام بقوله: "وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له"؛ ونستخلص من كلامه أن دراسة العلماء العرب، ولا سيما علماء المعاني

¹ حليلة بوالريش، "التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم"، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 25 نوفمبر 2018م، ص2.

² ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط2، 2020م، ص65.

والمناطق والأصوليين، تقتصر على التراكيب الدالة المفيدة، أي: التراكيب التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) تفهم منها.¹

معظم علماء العرب على كما ركز دعامة "الإفادة" في دراستهم للجملة و النص، كونها مناط التواصل بين مستعملي اللغة؛ وعلى هذا ينبغي أن يحمل مقصد سيويه في الكتاب عند تصنيفه للجملة العربية دلاليًا في قوله: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، وما هو محال كذب"، فسيويه لم ينعى صنف "المحال" ب: مستقيم، أو حسن، لعدم كفاية هذا الصنف التواصلية، وبالتالي لا يعتد به تداوليًا في اللسانيات العربية، و يتضح ذلك فيما يرمي له أبو الحسن الأخفش (ت 512هـ) في شرحه لكلام سيويه، في قوله: "إن المحال ما لا يصلح له معنى ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب، لأنه ليس له معنى..."².

إن ثنائية "الخبر والإنشاء" عند العلماء العرب لم تأت مكتملة من أول أمرها وإنما مرت بمراحل وأطوار، حتى استقرت على أسس علمية دقيقة ونهائية على يد اللاحقين للسكاكي. ومن مظاهر هذا التطور أن مصطلح "الإنشاء" ذاته لم يكتب له الشيوخ ولا الاستقرار إلا في مرحلة متأخرة، وكذلك مصطلح "الطلب" الذي جاء "الإنشاء" ليخلفه. ومن مظاهره أن المعايير المتخذة كأساس للتمييز بين الخبر والإنشاء متعددة ومتغيرة باختلاف العصور والمراحل، واختلاف الأدوات التحليلية، وتنوعها بين منطقية وتداولية.³

وعليه فهناك عدة معايير وضعها العرب للتمييز بين "الخبر" و "الإنشاء"، نذكرها كالآتي:

* إنَّ أول المعايير التي اعتمدها العرب القدماء للتمييز بين الأسلوبين هو "معيار الصدق والكذب". فإذا كان الكلام هو "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه"، فإن ابن سينا (ت 428هـ) يقسمه إلى خبر

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 66.

² ينظر: نفسه، ص 66-67.

³ نفسه، ص 68.

وطلب. و"الخبر أو القضية هو الذي يصلح أن يصدق أو يكذب، وبعض ذلك ليس قضية... كالترتيب الذي في الدعاء، والمسألة، والأمر، والنهي، والنداء". ويعضد هذا الكلام التعريف الذي أورده نجم الدين الكاتب القزويني (ت 493هـ) "الكلام التام إن احتمل الصدق والكذب فهو الخبر والقضية وإن لم يحتمل فهو إنشاء".¹

وإن كان السكاكي (ت 626هـ) يعتقد أن لا حاجة للتعريف الحدي للخبر والطلب إلا أنه يعرفهما بلوازمهما: "فالخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب... والطلب هو ما يستدعي مطلوباً لا محالة...، فالخبر إذا هو الكلام التام المفيد الذي يقبل الصدق والكذب، والإنشاء أيضاً هو الكلام المفيد التام ولكنه لا يقبل صدقاً ولا كذباً. في حين يذكر السيوطي (ت 911هـ) عدة أقسام للكلام منها أن الكلام: "خبر، وطلب، وإنشاء"، غير أن الخطيب القزويني (ت 793هـ) قسم الكلام إلى: "خبر وإنشاء"، وقسم الإنشاء إلى ضربين: "طلب وغير طلب"، ويشمل الإنشاء الطلبي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء...، ويشتمل الإنشاء غير الطلبي: الترجي، والقسم، والمدح، والذم، والتعجب...، وتعتبر هذه الأساليب الخبرية والإنشائية أفعالاً كلامية إنجازية بتعبير "أوستين وسيرل".²

ومن العلماء من سعى إلى تحديد كليهما اعتماداً على معيار مطابقة النسبة الخارجية، يقول القزويني إن الكلام "إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر والثاني الإنشاء". وقد نحا ابن خلدون (ت 808هـ) المنحى نفسه لما قسم الجمل الإسنادية إلى جمل خبرية وإنشائية، وذهب إلى أن "الجمل الإنشائية وهي التي لها خارج تطابقه أولاً، وإنشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وأنواعه".³

¹ حليلة بالريش، "التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم"، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 25 نوفمبر 2018م،

ص 2.

² ينظر: نفسه، ص 2.

³ نفسه، ص 2.

* ومن المعايير التي يتميز بها الخبر عن الإنشاء أن الخبر له ثلاث نسب: نسبة كلامية، ونسبة ذهنية، ونسبة خارجية، أما الإنشاء فله نسبتان: نسبة كلامية، ونسبة ذهنية.¹

* ومن العلماء من أدخل قرينة القصد للتمييز بين الأسلوبين لأن التصور المنطقي وحده غير كاف. فقصد المتكلم منحى تداولي مهم للتفريق بين الخبر والإنشاء. فقد ذهب إبراهيم الشيرازي (ت 476 هـ) إلى أن الكلام "يصير خبراً إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به"، فبالإضافة إلى اللفظ الدال بالوضع على الخبر يعد قصد المتكلم وغرضه من الخطاب قرينة أساسية للحكم على خبرية الجملة أو إنشائيتها إذا كان قصد المتكلم غير الإخبار.²

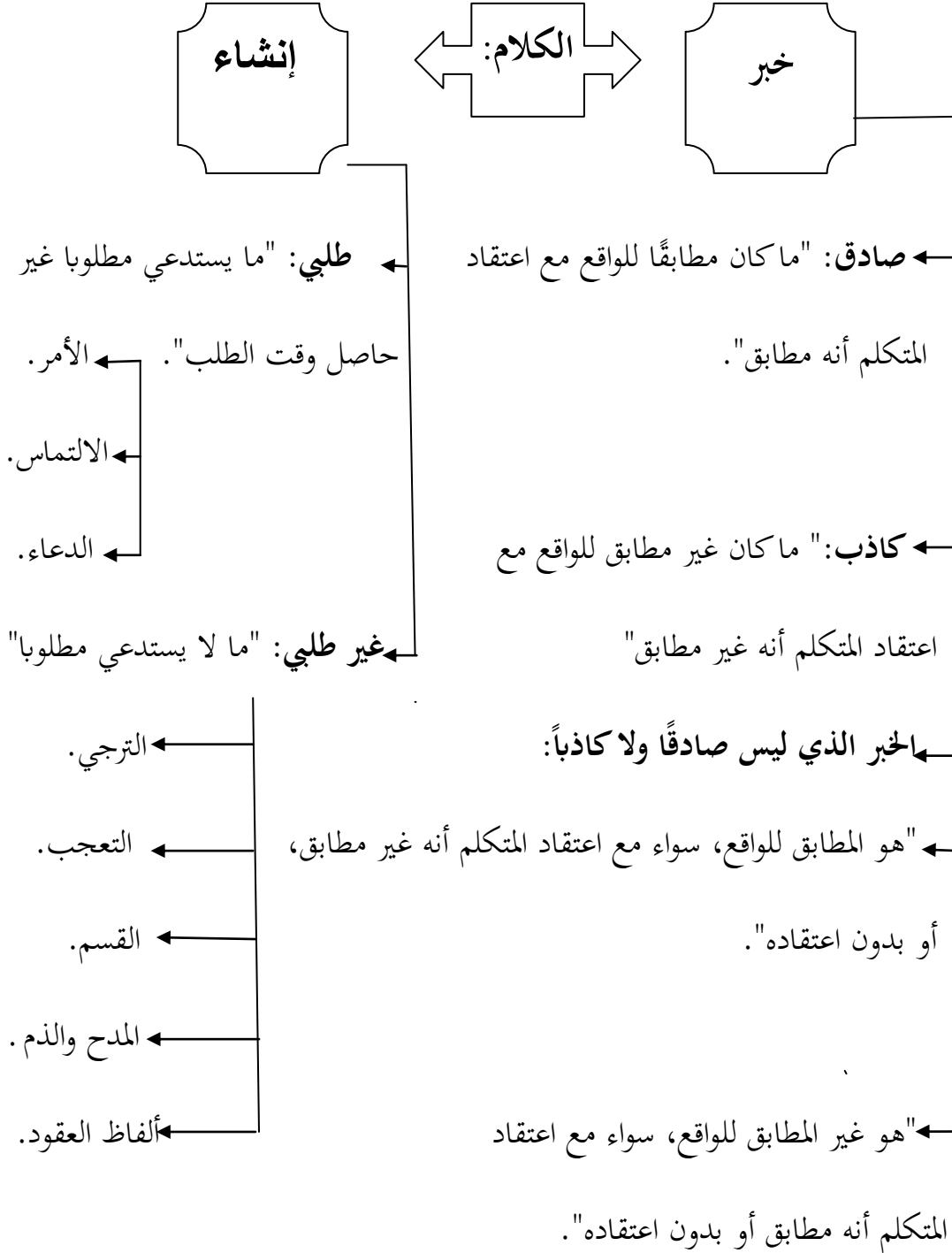
يقول مسعود صحراوي إن: "آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار "القصد"، ومعيار "إيجاد النسبة الخارجية"، فالأول معيار تداولي والثاني معيار منطقي.³

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 92.

² حليلة بوالريش، "التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم"، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 25 نوفمبر 2018م، ص 3.

³ نفسه، ص 3.

ونلخص ما سبق في المخطط التالي:¹



¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 105-138.

ومنه يمكن القول أن صنيع العلماء العرب هذا "ظاهرة الخبر والإنشاء" يوافق ما هو متداول عند المعاصرين، فالتداوليون المعاصرون لا يدرسون "الأفعال الكلامية" مجردة عن سياقها الكلامي والحالي، أو معزولة عن غرض المتكلم وإنما يدرسون إنجازية تلك الأفعال ولا يعتبرونها "أفعالاً كلامية" إلا بشرط أن تتحقق هويتها الإنجازية في السياق عبر الاستعمال، ولا ينبغي لنا أن نسلم بما يراه بعض المعاصرين الذين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلامية من دون ذكر، أحياناً، لسياقها الكلامي أو الحالي. فإنما المرجع النهائي لأولئك التداوليين في تحديد مجالها الدلالي والتداولي لن يكون إلا بالسياق الكلامي و سياق الحال و"قصدية" المتكلم، إذ هي من أكبر القرائن على فهم الغرض من الكلام ودلالته، ومن ثم يرى الدكتور صحراوي أن الظواهر الأسلوبية، عند العلماء العرب تندرج ضمن إطار تداولي صريح.¹

¹ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 68.

المبحث الثاني: حروف المعاني أنواعها وأهميتها:

المطلب الأول: أنواع حروف المعاني ومعايير تصنيفها:

تعددت تقسيمات حروف المعاني حسب علماء اللغة العربيّة وخاصّة علماء النّحو إلى عدّة أقسام فصنّفوا هذه الأخيرة حسب العمل، حسب العدد، حسب حركة البناء والهيئة، حسب الاختصاص، وحسب الوظيفة التي تؤديها في الكلام.¹ ونعرض تصنيفاتهم كالتالي:

أ: تقسيمها حسب عدد الحروف: تُقسم حروف المعاني حسب هذا المعيار إلى قسمين هما:

1. الحروف المفردة وهي: الهمزة، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، النون، الواو، الهاء، والياء.

2. الحروف المركبة وهي: أل، أم، إن، أن، إن، أن، أو، أي، إي، بل، ها، عن، في، قد، كي، لا، لم، لن، لو، ما، مذ، من، هل، وا، وي، يا، أجل، إلى، إذن، إذا، ألا، أما، أي، بجل، بلى، ثم، جبر، خلا، رب، سوف، على، ليت، منذ، نعم، هيا، عدا، لات، علّ، إلا، حتى، حاشا، ألا، أمّا، إما، أيّا، كأنّ، كلاً، لعل، لكنّ، لما، لولا، أيمن، لوما، هلاً، لكنّ.²

وفي هذا التقسيم "من حيث العدد"؛ نجد أنّ العلماء قد اختلفوا في ذلك كل حسب منظوره، فقبل ثلاثة وسبعون حرفاً، وزيد على ذلك حروف أخرى مختلف في حرفية أكثرها، وذكر بعضهم نيفا وتسعين حرفاً. وتزيد عن ذلك لترتقي عن المئة.³

ب: تقسيمها حسب لزوميتها للحرفية من عدمه: تُقسم حروف المعاني حسب هذا المعيار إلى ثلاثة أقسام هي:

¹ زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم الالفتات الدلالية في الخطاب القرآني - آيات من الذكر الحكيم أنموذجاً-، مجلة المعيار، مج 25، عدد 59، 2021م، ص 24.

² طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، التعليمية، المجلد 5، العدد 13 مارس 2018م، ص 390.

³ زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم الالفتات الدلالية في الخطاب القرآني - آيات من الذكر الحكيم أنموذجاً، ص 24.

1. الحروف اللازمة للحرفية: وهي الحروف التي لا تكون حروفا فقط؛ وهي: تاء القسم، الهمزة، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، النون، الواو، الهاء، والياء، أم، إن، أو، أي، إي، بل، عن، في، كي، لا، لم، لن، لو، هل، يا، أجل، إلى، إذن، ألا، أما، أيا، بجل، بلى، ثم، جبر، رب، سوف، على، ليت، نعم، لات، علّ، إلا، حتى، ألا، أمّا، إما، أيّا، كأنّ، كلاً، لعل، لكنّ، لما، لولا، لوما، هلاً، لكنّ.

2. الحروف الكائنة حرفاً واسماً: وهي الحروف التي تكون حيناً، وتكون اسماً في بعض المواضع؛ وهي: مذ، منذ، أيمن، ما، من، قد، أن، ها، أل، إذا.¹

3. الحروف الكائنة حرفاً وفعلاً: وهي الحروف التي تكون حرفاً حيناً، وتكون فعلاً في بعض المواضع؛ وهي: حاشا، عدا، خلا، وا، وي، هيا.

ج: تقسيمها حسب الاختصاص: تُقسم حروف المعاني حسب هذا المعيار إلى أربعة أقسام هي:

1. الحروف المختصة بالاسم: وهي الحروف التي تدخل الاسم فتكون كالجاء منه، فلا تعمل فيه غالباً؛ كـ "ال" التعريف، أو لا تنزل منزلة الجزء منه فتعمل فيه؛ كحروف الجر، وهذه الحروف جملةً هي: الألف، الباء، الكاف، أي، عن، في، من، مُذ، وا، وي، يا، خلا، عدا، رَبّ، علا، ليت، لات، منذ، أيا، إلى، هيا، إنّ، أنّ، إلا، إمّا، أمّا، حاشا، أيمن، كأنّ، لعل، لكنّ، لولا، لكنّ.

2. الحروف المختصة بالفعل: وهي الحروف التي تدخل على الفعل دون غيره، سواء عملت فيه كحروف الجزم، أو لم تعمل كحروف التنفيس؛ وهذه الحروف هي: السين، سوف، قد، لم، لن، إذاً، إذما، ألا، لما، هلاً.

3. الحروف المشتركة: وهي الحروف التي تدخل على الاسم والفعل على حد سواء؛ وهي: الهمزة، التاء، الفاء، اللام، الواو، الياء، النون، أل، أن، إن، بل، كي، لو، لا، ما، هل، ها، ثمّ، ألا، أما، حتى، لوما، أم، أو، الهاء.

¹ طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص390_391.

4. الأحرف المستقلة: وهي أحرف ليست مختصة بالأسماء، ولا بالأفعال، ولا هي مشتركة بينهما، بل هي أحرف قائمة بذاتها تقوم مقام الجملة، وهي أحرف الجواب والتصديق: نعم، أجل، بجل، بلى، جبر، لا؛ ففي قول السائل مثلاً: "هل انتهيت من البحث؟"، يجيب المجيب بقوله: "نعم"؛ ف "نعم": حرف قائم بذاته يقوم مقام الجملة.¹

د: تقسيمها حسب البناء: تُقسّم حروف المعاني حسب ما تُبنى عليه كما يلي:

1. الحروف المبنية على السكون؛ وهي: الألف، أل، أم، إن، أن، أو، أي، إي، بل، ها، عن، في، قد، كي، لا، لم، لن، لو، ما، مذ، من، هل، وا، وي، يا، أجل، إلى، إذن، ألا، أما، أيا، بجل، بلى، جبر، خلا، على، نعم، هيا، عدا، إلا، حتى، حاشا، ألا، أمّا، أيا، كلاً، لما، لولا، أيمن، لوما، هلاً، لكن، تاء التأنيث، الواو، الهاء، والياء.
2. الحروف المبنية على الفتحة؛ وهي: السين، الهمزة، تاء القسم، الفاء، الكاف، اللام، النون، ثم، رب، سوف، ليت، لات، إن، أن، كأن، لعل، لكن.
3. الحروف المبنية على الكسرة؛ وهي: الباء، واللام (إذا كانا حرفاً جر).
4. الحروف المبنية على الضمة؛ وهي: م، منذ.²

هـ: تقسيمها حسب الإعمال والإهمال: تنقسم حروف المعاني من حيث العمل النحوي إلى:

1. الحروف العاملة فقط: وهي الحروف المختصة بالدخول على الأسماء أو الأفعال، ولأجل هذا الاختصاص فإنها تؤثر نحوياً فيما تدخل عليه فتعمل فيه، يقول ابن الأنباري (ت: 577هـ): "فالمعمل هو الحرف المختص؛ كحرف الجر وحروف الجزم ونحوها"؛ وهذه الحروف هي: الباء، كي، لم، لن، من، من، ما، عدا، رُب، على، ليت، متى، منذ، إن، أن، إذما، أيمن، حاشا، كأن، لعل، لما، لكن.

¹ طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص391.

² نفسه، ص 391.

2. الحروف المهملة فقط: وهي الحروف المشتركة التي تدخل على الاسم والفعل على حدّ سواء؛ وهي: الهمزة، الألف، السين، الفاء، الياء، النون، أل، أم، أو، أي، إي، بل، قد، هل، ها، وا، وي، يا، نعم، أجل، بجل، بلى، جبر، ثم، سوف، هيا، أما، أيا، ألا، أمّا، كلاً، لكن، لوما، هلاً.

3. الحروف العاملة المهملة: وهذه الحروف تكون عاملة في سياقات معينة، ومهملة في سياقات أخرى؛ وهي: التاء، الكاف، اللام، الميم، الواو، إن، أن، عن، لو، لا، مذ، ما، لات، ألا، إلا، حتى، لما، لولا.¹

كما تحدث الحسن المرادي عن هذا التقسيم "الإعمال والإهمال" وأورده في باب "بيان عمل الحروف" فقال: "أنّ الحرف قسمان عامل وغير عامل، فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً أو نصباً أو جزماً، وغير العامل بخلافه ويسمى المهمل".²

¹ طه الأمين بودانة، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص391-392.

² زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم الالفتات الدلالية في الخطاب القرآني - آيات من الذكر الحكيم أنموذجاً، ص24.

المطلب الثاني: دور حروف المعاني وأهمية البحث فيها:

تُعدّ حروف المعاني من أهم العناصر في اللغة العربية، حيث تؤدي دورًا جوهريًا في الربط بين الكلمات والجمل، وإكسابها معاني إضافية تعجز الكلمات المفردة عن إيصالها وحدها، وعلى الرغم من أن هذه الحروف لا تحمل معنى مستقلًا بذاتها، فإنها تساهم في تحديد العلاقة بين الألفاظ، وتوضيح الدلالات المختلفة داخل السياق اللغوي؛ وقد وضع مُجدّد حسن الشريف دورها في كتابه "معجم حروف المعاني في القرآن الكريم"؛ بقوله: «تقوم حروف المعاني بدور أساسي في الكلام؛ ويمكن القول إن لها وظيفتين أساسيتين: الأولى: وظيفة نحوية، وهي تحقيق الترابط بين مكونات الجملة أو الكلام، سواء كانت عاملة أو غير عاملة، الثانية: وظيفة دلالية معنوية، وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق، وفي المحصلة النهائية فإن وظائفها المتكاملة ومتداخلة تنصر فيها العناصر النحوية بالمكونات النحوية¹»، ومنه فإن حروف المعاني تُسهّم في تحديد العلاقات النحوية بين الكلمات، وتوضيح المعاني داخل الجملة، مثل النفي، التوكيد، الشرط، والاستفهام. كما تؤثر على إعراب الجملة وتمنحها دقة ووضوحًا، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في الفهم والتعبير الصحيح باللغة العربية.

أما أهمية البحث في دلالات حروف المعاني فنذكرها كالتالي:

1: أن الكشف عن دلالات حروف المعاني يبرز جانباً مهماً من دلائل الإعجاز للقرآن الكريم التي يشير البلاغيون إلى كثير منها. وقد نبه عن أهمية هذه الحروف في باب الإعجاز الأستاذ محمود شاكر في مقدمته لكتاب "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، والدكتور الخضري في كتابه "من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم" و "من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم".

¹ مُجدّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم "مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات"، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، ج1، (1417هـ - 1996م)، تمهيد "ش".

2: أن بعض دلالات حروف المعاني له تعلق ببعض مسائل الاعتقاد.¹

3: أن هذا العلم من العلوم المهمة التي يحتاجها المفسر؛ لأن دلالات حروف المعاني تختلف باختلاف مواقعها في الكلام. قال الزركشي: "والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر؛ لاختلاف مدلولها. وقال السيوطي: "اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها."²

أما أهمية حروف المعاني فتتمثل في فهم النصوص الشرعية: قرآناً وسُنَّةً، والوقوف على مُرادِ أهلِ العِلْمِ من كلامهم، وتقريراتهم، ونقُدِهِم، واعتراضاتهم، وزُدوِدِهِم.

¹ عبد الرحمن بن عبد الله بن سالم القرشي، حروف المعاني التي يحتاجها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير "دراسة نظرية تطبيقية"، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة - تخصص التفسير وعلوم القرآن، 1439-1440هـ، ص 6-7.

² نفسه، ص 6-7.

المبحث الثالث: دلالات حروف المعاني وأثرها في التركيب القرآني:

المطلب الأول: دلالات حروف المعاني:

أولاً: دلالات الحروف الأكثر وروداً في القرآن الكريم: ونذكرها كالتالي:

أ: دلالات حروف العطف: سنقتصر في دراستنا لحروف العطف على الأحرف الثلاثة: "الواو، والفاء، وبل"، والتي تعتبر رئيسية في بابها، ولكونها تعد الأكثر وروداً في القرآن الكريم:

1: الواو: هي "حرف معنى للربط بين مكونات الكلام، تختلف وظائفها ودلالاتها ومعانيها باختلاف سياقاتها".¹ وهي أصل حروف العطف، وأكثرها وروداً في القرآن الكريم، وفي سائر الكلام؛ لكثرة الحاجة إليها في ربط الألفاظ والمعاني، وردت في القرآن الكريم في تسعة آلاف وأربعمائة وأربعة وستين موضعاً (9464)، وتنقسم من حيث الإعمال والإهمال إلى قسمين: عاملة، وغير عاملة.²

أما الواو العاملة فهي: **واو القسم** فقط؛ هي "حرف يجزئ الاسم الظاهر لا الضمير"³ وتعمل الجزر. ونستدل بقوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ [التين: 01]، ويقول النحاة إن هذه الواو مبدلة من الباء، لأن الباء أصل حروف القسم.⁴

وأما أقسام الواو الغير عاملة فهي:

● **واو العطف:** ذهب جمهور النحاة إلى أن الواو تدل على العطف والاشتراك، فتعطف الشيء على

مصاحبه، وعلى سابقه، وعلى لاحقته، قال سيبويه: "وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م3، (1417هـ-1996م)، ص1146.

² عبد الرحمان بن عبد الله بن سالم القرشي، حروف المعاني التي يحتاجها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير "دراسة نظرية تطبيقية"، (رسالة دكتوراه)، ص49.

³ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م3، (1417هـ-1996م)، ص1146.

⁴ نفسه، ص1146.

وتجمعهما، وليس فيه دليلٌ على أن أحدهما قبل الآخر"، وقال المبرد: "ومعناها - يعني الواو - : اشتراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً".¹ ونستدل بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفتح:04].

- **واو الحال:** هي "التي يصح وقوع (إذ) الظرفية موقعها، ولا تدخل إلا على جملة تكون في موضع الحال من ذي حال"² ونستدل في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:07].
- **الواو الاعتراض:** هي "واو تقترن بجملة معترضة بين جملتين، فيكون لهذه الواو تعلق بما قبلها وما بعدها، ولكنه ليس تعلقاً على سبيل الجمع والتشريك كواو العطف، ولذلك أطلق عليها اسم (الاعتراضية) من اسم الجملة المقترنة بها"³، ونستدل في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة:271].

- **واو التوكيد:** هي "واو أثبتنا نحة الكوفة والأخفش من البصريين، وقالوا أنها زائدة يكون دخولها كخروجها من حيث الوظيفة النحوية، ولكنها ذات دلالة توكيدية من حيث المعنى، كما أن له دوراً في إضفاء قدر من الجمال في صياغة الكلام"⁴، ونستدل في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَاتَّامَنُوهُمْ كُلُّهُمْ﴾ [الكهف:22].

2: الفاء: وهو ثاني أكثر حروف العطف وروداً في القرآن الكريم، فجاء في (2978) موضعاً، وتأتي على الأوجه التالية:

- **فاء العطف "العاطفة":** هي "حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، يعطف اسماً على اسم، أو فعلاً على فعل، أو جملة على جملة"⁵، وتنفيذ ثلاثة معان، وهي: **التعقيب؛** أي عدم وجود مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه، فإذا "قلت جاء زيد فعمر" فالمعنى أن زيدا وعمرًا

¹ عبد الرحمان بن عبد الله بن سالم القرشي، حروف المعاني التي يحتاجها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير "دراسة نظرية تطبيقية"، (رسالة دكتوراه)، ص 50-51.

² محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م3، (1417هـ-1996م)، ص 1148.

³ نفسه، ص 1148.

⁴ نفسه، ص 1148.

⁵ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ-1996م)، ص 679.

اشتركا في المجيء، وأن زيدا جاء أولا وبعده عمرو دون مهلة بينهما، والترتيب؛ بغير مهلة، وقد يكون هذا الترتيب معنويا، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس:22]، وقد يكون ذكريا، ويسمى عطف مفصّل على مجمل، كقوله تعالى: ﴿وَنَادِي نُوحٍ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود:45]، والدلالة على السببية؛ وذلك غالب في الفاء التي تعطف جملة: كقوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضِي عَلَيْهِ﴾ [القصص:14]، أو صفة: كقوله تعالى: ﴿لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ (55) فَمَا لُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ (56) فَشُرِبُوا مِنْهُ مِنْ الْحَمِيمِ (57) فَشُرِبُوا مِنْ شَرِبِ أَهْلِي﴾ [الواقعة:55-58]، وقد تأتي الفاء في الجملة والصفة معا.¹

● الفاء السببية: هي "حرف يفيد الترتيب والتعقيب مع دلالة على السببية الجوابية، ويشترط حتى تكون الفاء سببية أن يتقدم عليها أحد تسعة أمور هي: فعل الأمر، الدعاء، النهي، التحضيض، العرض، التمني،"²، ونستدل في هذا الموضوع بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الاعراف:52]، وهنا تقدم عليها "الفاء" الاستفهام.

● الفاء الرابطة لجواب الشرط "الجزاء": هي "حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب يقع في جواب الشرط، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:120]³

3: بل: تأتي في لغة العرب على ثلاثة أوجه: حرف عطف للإضراب، حرف عطف للاستدراك، حرف ابتداء غير عاطف، أما في القرآن الكريم فقد ورد الوجه الثالث ، لأن الأول والثاني ترد (بل) فيهما للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك قالت جمهرة النحاة و المفسرين أن (بل) في القرآن الكريم لم ترد حرفا للعطف، بل جاءت حرف ابتداء غير عاطف يفيد معنيين: الأول: الإضراب الانتقالي التوكيدي ومعناه الانتقال من غرض إلى آخر، مع بقاء ما قبل (بل)

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص680.

² نفسه، ص680_681.

³ نفسه، ص681.

على حاله، والثاني: الإضراب الإبطلاي الذي يفيد نفي حكم سابق عليها أورده القرآن الكريم.¹ ونستدل في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿أَوْكَلَمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:99]، وهنا "بل" تفيد معنى الإبطل.

ب: دلالات حروف النفي: حروف النفي كثيرة لكن نقتصر في بحثنا هذا على حرفي "لا، ولن":

1: لا: ونقصد بها الداخلة على الفعل المضارع دون سواها، وهي في هذه الحالة تؤدي عدة معان، فقد تكون للحال كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات:92]، وقد تفيد الاستقبال؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:174]، وقد تأتي للاستمرار؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:255]، كما تأتي جواباً للقسم؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].²

2: لن: حرف نفي ونصب واستقبال يدخل على الفعل المضارع فينفيه نفيًا مؤكدًا ويخلصه للاستقبال؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَّتَمَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:95]، وقد تأتي للدعاء مثل "لا"؛ كقول الشاعر:

لن تزولوا كذلكم ثم لازل ***تُ لكم خالد خلود الجبال

وقد تأتي للقسم؛ ولكن ذلك نادر جدا، كقول أبي طالب:

والله لن يصلوا إليكم بجمعهم ***حتى أوسد في التراب دفينا³

¹ ينظر: محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص497.

² طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص399.

³ نفسه، ص398-399.

ج: دلالات حروف الجر: وكما هو معروف لحروف الجر في القرآن الكريم عدة دلالات وفيما ياي نذكر دلالات حرفي "من" و"إلى":

1: من: من معانيها التبعية وتمييز الجنس؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 06]، اختلف العلماء في وجوب توصيل التراب إلى أعضاء الجسم، وسبب الاختلاف في ذلك الاشتراك الذي في حرف الجر "من"، فمن ذهب إلى أنها للتبعية، أوجب نقل التراب إلى أعضاء التيمم، ومن رأى أنها لتمييز الجنس قال: ليس النقل واجباً.¹

2: إلى: يأتي حرف الجر "إلى" للدلالة على انتهاء الغاية؛ والغاية نوعان: غاية زمانية، وغاية مكانية، ففي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 01]، نوع الغاية "غاية مكانية" نلاحظ من خلالها أن الإسراء يبدأ من المسجد الحرام وينتهي بالمسجد الأقصى، أما في قوله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، فنوع الغاية "غاية زمانية".²

ثانياً: دلالات الحروف الأقل وروداً في القرآن الكريم: نذكر منها:

1: دلالات حرف الردع "كلاً": هو "حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق من متكلم واحد، أو من كلام يُحكى عن متكلم آخر، أو مسموع منه"، وقد سلك النحاة في معناه مسلكين؛ فمعناها عند سيبويه والخليل الردع والزجر، أما عند فريق من أهل اللغة إلى أن معناها إضافة إلى "الردع والرجز" فإنها تكون بمعنى (حقاً) و(ألاً) الاستفتاحية، وتكون حرف جواب بمنزلة (إي) و(نعم)، ورجح ابن هشام أن

¹ ينظر: زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم اللافات الدلالية في الخطاب القرآني - آيات من الذكر الحكيم أمودجا، ص 26.

² ينظر: نفسه، ص 26.

يكون معناها إضافة إلى الردع والرجز (ألا) الاستفتاحية)، في حين أن ابن فارس ذكر لها أربعة معان في القرآن الكريم:

1: (كلا) بمعنى الرد والإبطال: جاء على هذا المعنى قوله تعالى في قصة من قال: ﴿لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (78) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ إِيْتَاخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (79) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴿[مریم: 78-80]، أي: أنه لم يطلع، ولم يتخذ العهد، قال ابن فارس: "وأصوب ما يقال في ذلك: إن (كلا) رد للمعنيين جميعاً؛ وذلك أن الكافر ادعى أمراً، فكذب فيه: ثم قيل: أتراه اتخذ عهداً، أم اطلع الغيب، (كلا) أي: لا يكون ذا، ولا ذاك.

2: (كلا) تحقيق لما بعدها: جاء على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ انشَرُّهُ﴾ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿[عبس: 22-23]، أي: أنه لم يقض ما أمر به.

3: (كلا) بمعنى الردع والرجز: جاء بحسب هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]، فقوله: (كلا) رَدَعٌ، رَدَعٌ به موسى ظنهم أنهم يدركهم فرعون، وعلل عن ذلك بجملة "إن معي ربي سيهدين".

4: (كلا) تكون صلة الأيمان (القَسَم): جاء على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: 32]، قال الفراء: (كلا) صلة القسم، التقدير: إي والقمر، والمعنى: حقاً والقمر.¹

2: دلالات حرف التوقع "قَدْ": هو "حرف للإخبار يفيد التحقيق والتقريب أو التقليل أو التكثير، يدخل على الفعل المتصرف الماضي أو المضارع، ولا يدخل على الأفعال الجامدة، نحو: "عسى" و"ليس" و"نعم" و"بئس" لأنها أفعال لا تفيد زماناً ولا تتصرف فأشبهت بالأسماء"²، ومن معاني ودلالات قد نذكر:

¹ إسلام ويب، 2014/12/09، (كلا) في القرآن الكريم "دراسات قرآنية، 14ص1، 2025/03، إسلام ويب.

² محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م3، (1417هـ-1996م)، ص785.

1: التحقيق والتقريب: وهذا غالب أحوال (قَدْ) إذا دخلت على الفعل الماضي، مع أن التحقيق يطلق على بعض أحوالها عند دخولها على الفعل المضارع، وأطلق عللاً (قَدْ) معنى التحقيق لما فيه من معنى تأكيد الحصول، وأطلق وصف التقريب لأنها تقرب الماضي من الحال، وهذا المعنى "التحقيق والتقريب" هو غالب معاني (قَدْ) في القرآن الكريم.¹

2: التقليل المؤول بالتكثير: غالب معنى (قَدْ) المقترنة بالفعل المضارع هو التقليل، نحو: "قَدْ يوجد البخيل" (تقليل وقوع الفعل) يريد ذلك منه على قلة وندرى، وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: 62]، أي: ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه وتعالى (تقليل متعلقه)، ولكن هذا المعنى قد يصرف إلى التكثير في أحوال خاصة كاقترانه مثلاً بعلم الله سبحانه وتعالى أو قدرته أو رؤيته، كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 143]، وهنا معنى التحقيق، واليقين.²

المطلب الثاني: خصائص حروف المعاني:

تتميز حروف المعاني عن قسيميها الاسم والفعل بمميزات منها:

- أنها مبنية على كلها بخلاف الأسماء والأفعال فإن منها المبني ومنها المعرب، لأنها لا تحتاج في دلالتها على معانيها إلى إعراب؛ ففي قولنا مثلاً: "زيدٌ في الدار"، يُستفاد معنى الظرفية من لفظ "في" في حد ذاته دون حاجه إلى الإعراب.
- أنه لا يُخبر عنها ولا تكون خبراً بخلاف الاسم وحده فإنه يُخبر عنه، والفعل فإنه يكون خبراً.
- أنه لا يتألف من الحرف مع مثله كلاماً، ولا مع الاسم وحده أو مع الفعل وحده كلاماً، بخلاف الاسم فإنه يتألف منه مع مثله كلاماً؛ نحو قولنا: "زيد شجاع"، ومنه مع الفعل كلاماً؛ نحو قولنا: "زيد ينطلق"، وبخلاف الفعل؛ فإنه يتألف منه مع الاسم كلاماً؛ نحو قولنا: جاء زيد".

¹ ينظر: مُجَدِّدُ حَسَنِ الشَّرِيفِ، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م3، (1417هـ-1996م)، ص785-786.

² نفسه، ص786.

- أنها لا تتصرف ولا يُشتق منها، ولا تُثني، ولا تُجمع.¹

المطلب الثالث: أثر حروف المعاني في تعدد التركيب القرآني:

يُعد التركيب القرآني معجزاً في بنيته، حيث تتداخل حروف المعاني لتشكّل ثراءً دلاليًا فريداً يفتح أبواباً متعددة للفهم والتفسير. فهذه الحروف، مثل حروف الجر والعطف والشرط والتوكيد، تؤدي دوراً جوهرياً في تحديد المعنى وتوجيه السياق. ومن خلال اختلاف دلالاتها، تؤثر في بناء الجملة وتعدد وجوه الإعراب، مما يمنح النص القرآني مرونة أسلوبية وبلاغية، لذا، فإن دراسة أثر حروف المعاني تسهم في الكشف عن جماليات النص القرآني وراثته التعبيري.

ولحروف المعاني أثر كبير في تعدد المعنى حيث: « إذا دلّ الحرف على معنى في غيره يسمّى حرف المعنى وهو ما أطلقه النحويون على هذه الحروف، ولها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، بطريق الاجتهاد والتأويل؛ لأن كثيراً من القضايا الدلالية والمسائل الفقهيّة يتوقّف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النص، وسمّيت حروف معاني لهذا الغرض، لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء أو لدلالاتها على معنى، وقد اختلف النحاة وعلماء الأصول وعلماء الكلام في وظائف هذه الحروف كقواعد نحوية ودلالات لغوية على الأحكام الفقهيّة والعقائديّة، وهي تعامل معاملة اللفظ في الجملة من حيث الدلالة فمنها ما يكون مستعملاً في الحقيقة ومنها ما يكون مستعملاً في المجاز وغيره² ». «

¹ طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص390.

² زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم اللافات الدلالية في الخطاب القرآني - آيات من الذكر الحكيم أمودجا، ص25.

وفي الأخير نستنتج أنالأفعال الكلامية وحروف المعاني عنصرين أساسيين في بناء المعنى داخل اللغة العربية، إذ تؤدي الأفعال الكلامية دورًا محوريًا في إيصال المقاصد اللغوية، سواء أكانت إنشائية أم تأثيرية أم تفسيرية. كما أنّ حروف المعاني تضيف إلى النص ثراءً دلاليًا وتحدد طبيعة العلاقات بين الكلمات والجمل، مما يسهم في وضوح الفكرة وترابطها.

ومن خلال دراستنا لهذه العناصر، ندرك مدى تعقيد اللغة العربية ودقتها، حيث لا يقتصر المعنى على الكلمات في ذاتها، بل يتأثر بالسياق والعلاقات النحوية والدلالية. كما أن حسن توظيف الأفعال الكلامية وحروف المعاني يضيف على الخطاب بلاغةً وقوةً.

الفصل الثاني

الوظائف الدلالية لحرف الباء مع الأفعال الكلامية:

"دراسة تطبيقية في القرآن الكريم"

تمهيد :

تعتبر حروف المعاني من أهم القضايا التي شغلت العلماء كل حسب توجهه في دراساتهم مما جعلهم يخصصون لها مصنفات عديدة مستقلة، من بينهم علماء الدراسات القرآنية، فكان تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم يحتاج إلى معرفة معاني هذه الحروف، فجعلوها من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر؛ يقول السيوطي (ت:911هـ): "واعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة باختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"¹، وهذه الأخيرة ترتبط بالأفعال الكلامية من خلال توضيح المعاني وتحديد العلاقة بين أجزاء الجملة، ومن بين هذه الحروف نسلط الضوء في بحثنا على حرف " الباء " كونه أحد حروف المعاني، وباعتباره أكثر الحروف استخداماً في التراكيب العربية وتتعدد معانيه بحسب السياق الذي يرد فيه، وله العديد من الدلالات منها: الإلصاق، السببية، الاستعانة، القسم،... وغيرها، وفي هذا الفصل سنحاول ذكر هذه الدلالات ثم ربطها بالأفعال الكلامية.

¹ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للطباعة، المملكة العربية السعودية، ط.ت، د.ت، ج3، ص1004.

أولاً: حرف الباء كأداة جر كلامية:

تعريفه: هو حرف يجر الاسم الظاهر والمضمر، ويقع أصلياً وزائداً، ويؤدي عدداً من المعاني.

ويتضح من التعريف أن الوظيفة الأساسية ل(باء الجر) هي جر آخر الاسم الذي يليها، جراً ظاهراً أو مقدراً أو محلياً. ويتفرع من هذه الوظيفة الأساسية، وظائف نحوية فرعية، أهمها تعدية عامله اللزوم، إلى مفعول به في الحكم أو المعنى.

وباء الجر؛ قد تكون أصلية، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها في الجملة؛ وقد تكون زائدة، بحيث يمكن الاستغناء عنها، ولكنها تقتزن بالاسم بعدها، على سبيل التقوية والتوكيد...¹

معاني "دلالات" باء الجر:

الوظيفة الأساسية لباء الجر كغيرها من حروف الجر الأصلية هي نقل المعنى الذي يعيده الفعل السابق لها إلى الاسم الذي يليها، فإذا قال أحدهم: "حضر القطار"، اتضح أن وسيلة الحضور هي القطار.

وفيما يلي نذكر بعض دلالات حرف الباء مع التمثيل لها من القرآن الكريم:

1: من معانيها؛ الإلصاق، السببية، الاستعانة، الظرفية:

1.1: الإلصاق: وهو أصل معاني الباء عند النحاة، بحيث لا يكون لها معنى آخر إلا وفيه الإلصاق، وهذا ما اقتصر عليه سيبويه في (الكتاب)²، يقول المرادي عن هذا المعنى "الإلصاق": "هو أصل معانيها"³. أما ابن هشام فقال: "وهو معنى لا يفارقها"⁴. ومن خلال قول كل منهما فإن معنى الإلصاق هو الأصل والغالب في معاني حرف الباء.

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص450.

² نفسه، ص451.

³ حسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1992م، ص36.

⁴ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت - 1991، ج2، ص117.

وقد يكون هذا المعنى "الإصاق" حقيقياً أو مجازياً، فالحقيقي يفضي إلى نفس المجرور، نحو: "أمسكت بيد المريض"، أما المجازي فيفضي إلى ما يقرب منه، نحو: "آمنت بالله"¹.

وقول ابن جني في صناعة الإعراب: فأما الإصاق فنحو قولك: أمسكت زيدا، يمكن أن تكون باشرته نفسه، وقد يمكن أن تكون منعتة من التصرف من غير مباشرة له، فإذا قلت: «أمسكت بزید» فقد أعلمت أنك باشرته وألصقت محل قدرتك، أو ما اتصل بمحل قدرتك به أو بما اتصل به، فقد صح معنى الإصاق.²

وفي هذا المعنى "الإصاق" نستدل ببعض الآيات من الذكر الحكيم:

قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: 7].

المسح لفظ مشترك، أما الرأس فهو عبارة عن الجملة التي يَعْلَمُهَا النَّاسُ ضَرُورَةً، ومنها الوجه، فلما ذكره الله عزَّ وجلَّ في الوضوء؛ وعَيَّنَ الوجهَ للغسل؛ بقي باقيه للمسح ولو لم يذكر الغسلَ لِلزِّمِّ مَسْحُ جميعه...³

وقد اختلف النحاة وعلماء التفسير في معنى الباء في "برؤسكم": هل هي للإصاق؟ أو للتبويض؟، أو زائدة للتأكيد؟، فاختلفت الأحكام الفقهية بين الأئمة والفقهاء في قدر الواجب من مسح الرأس وفقاً للاختلاف في معنى الباء وفي فهم الأحاديث المتعلقة بمسح الرأس.

فمن رآها زائدة أوجب مسح الرأس كله، ومعنى الزائدة هاهنا كونها مؤكدة،¹ ونجد في هذا الرأي الإمامان مالك وأحمد بن حنبل²، ومن رآها مبعضة أوجب مسح بعضه³، وهما الإمام الشافعي والإمام والإمام أبو حنيفة، وقد اختلفا في مقدار الجزء الواجب مسحه.⁴

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص 451.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: الدكتور حسن هنداي، ص123.

³ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 2006م-1467هـ، ص334-335.

ذهب الإمام الشافعي إلى وجوب مسح أقل ما يقع عليه اسم المسح، ولو بإصبع واحد، فقد وجد لفظ الآية يمتثل كل الرأس وبعضه، ووجد في السنة أن بعضه يجزئ⁵، قال الشافعي: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَابْنِ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ عَمْرِو بْنِ وَهْبِ الثَّقَفِيِّ عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ وَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَيْهِ». وقال أيضاً: أَخْبَرَنَا مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ فَحَسِرَ الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ وَمَسَحَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ أَوْ قَالَ نَاصِيَتَهُ بِالْمَاءِ».⁶

أما الإمام أبو حنيفة، فقد أخذ بأجزاء الرأس هو الآخر، إلا أنه اختلف عن الشافعي بأنه أخذ بوجوب مقدار الناصية وهي ربع الرأس على تقديره، وذلك أخذاً ببيان رسول الله ﷺ وما روي أنه مسح على ناصيته (كما في الأحاديث السابقة) فثلاث أصابع أو إصبعي السبابة والإبهام مفتوحتين وما بينهما من كف على الرأس تجزئ، ولا يقل عن ذلك.⁷ ودليل من قدر البعض بثلاثة أصابع أن الأمر بالمسح يقتضي آلة المسح إذ المسح لا يكون إلا بالآلة المسح وهي أصابع اليد عادة، وثلاث أصابع اليد أكثر الأصابع وللاكثر حكم الكل فصار كأنه على الثلاث وقال: {وامسحوا برؤوسكم} بثلاث أصابع أيديكم.⁸

¹ الإيمان محمد المهدي محمد الأطروني، الأحكام المتعلقة بالمسح في الفقه الإسلامي، الدرية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، العدد 16، 2016م، ص43.

² عبد العزيز موسى درويش علي، محمد علي سليم الهواري، قراءة لغوية فقهية في آية الوضوء، جامعة البلقاء التطبيقية- كلية الأميرة عالية الجامعية- الشميساني- عمان، م1، ص9.

³ الإيمان محمد المهدي محمد الأطروني، الأحكام المتعلقة بالمسح في الفقه الإسلامي، الدرية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، العدد 16، 2016م، ص43.

⁴ عبد العزيز موسى درويش علي، محمد علي سليم الهواري، قراءة لغوية فقهية في آية الوضوء، م1، ص9.

⁵ نفسه، ص9.

⁶ الشافعي، الأم في الفقه، دار المعرفة، بيروت، م1، 1990م-1410هـ، ص46.

⁷ عبد العزيز موسى درويش علي، محمد علي سليم الهواري، قراءة لغوية فقهية في آية الوضوء، م1، ص10.

⁸ الإيمان محمد المهدي محمد الأطروني، الأحكام المتعلقة بالمسح في الفقه الإسلامي، الدرية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، العدد 16، 2016م، ص46.

وبالتالي فالإمام الشافعي وأبو حنيفة، توجهوا إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

﴿ للتبويض.

ومن الشواهد التي تذكرها كتب النحو في معنى التبويض في الباء في الآية السابقة: قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الانسان:6]، ولم يقتصر الذين ذهبوا إلى أن غسل بعض الرأس يجزئ قولهم على أن الباء للتبويض، وإنما رأوا أن الباء قد تفيد معاني أخرى كالأستعانة والإلصاق تأييداً لإفادة الباء تبويض الرأس، ومن الإلصاق الذي دخل في معنى التبويض نلمحه في قول الزمخشري: "المراد إلصاق المسح بالرأس بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه"¹

أما الإمام مالك فقد ذهب إلى وجوب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم.² واحتج من ذهب إلى ذلك بأحاديث كثيرة عن مسح مقدم الرأس ومؤخره، نذكر منها: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ: حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عَيْسَى الْقَزَّازُ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ؛ بَدَأَ بِمَقْدَمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ.³

وروي عن أحمد أنه لا يجزئ إلا مسح أكثره.⁴

وقد استدلوا في وجوب مسح كل الرأس، أن قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾؛ أن الباء للإلصاق، فكأنه قال: "وامسحوا رؤوسكم، فيتناول الجميع، كما قال في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة:7]. والحكم إذا غلق باسم وجب استيفاء ما يتناوله كقوله: كل رغيفاً وأعط درهماً.⁵

¹ عبد العزيز موسى درويش علي، مُجَدَّ علي سليم الهواري، قراءة لغوية فقهية في آية الوضوء، م1، ص13.

² نفسه، ص13.

³ مُجَدَّ ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، باب24 "باب ما جاء في مسح الرأس أنه يبدأ بقدم الرأس إلى مؤخره"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، م1، 1420هـ، ص38.

⁴ الإيمان مُجَدَّ المهدي مُجَدَّ الأطروني، الأحكام المتعلقة بالمسح في الفقه الإسلامي، الدرية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، العدد 16، 2016م، ص45.

⁵ نفسه، ص48.

أما أهل اللغة القائلون بمسح الرأس، فمنهم من قال هي للإلصاق؛ وهو المعنى الذي لا ينكره أحد من النحويين، مثل ابن هشام في المعنى، وصاحب رصف المباي، وصاحب شرح المكودي على ألفية مالك، أما من المفسرين فأخذ به ابن جزري إذ وجد أن المسح تارة يتعدى نفسه وتارة بحرف جر، كقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:32]. ويقصد بالإلصاق هنا تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل: وألصقوا المسح برؤوسكم، ومنهم من قال إن الباء في الآية زائدة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:194]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَزَبِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم:24]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [الحج:15]، وقد قال الفرّاء: "نقول العرب: خذ الخطام وبالخطام، خذ برأسه ورأسه" وظاهر كلامه أنها زائدة.¹

ومن خلال عرض الأدلة النقلية والعقلية للفريقين، نجد أن من قال من الفقهاء بمسح الرأس إصاقاً أخذ جانب الحيطة، ومن قال منهم إن مسح بعض الرأس يجرى أخذ جانب الترخص، وأما الأدلة اللغوية فقد دل على أن الباء أتت لمعنى آخر يبعد احتمالية التبويض، كما أن الإلصاق لا يطلق على بعض الشيء إلا مجازاً، وليس ما يوجبنا في الآية إلى اعتباره مجازاً.²

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة:49]

يقول الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى ﴿ بِكُمْ ﴾؟ قلت: فيه أوجه: أن يراد أنهم كانوا يسلكونه، ويتفرق الماء عند سلوكهم، فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما، وأن يراد بفرقناه بسببكم، وبسبب إنجائكم، وأن يكون موضع الحال، بمعنى فرقناه ملتبساً بكم."³

يقول الدكتور محمد الأمين الحضري في هذا الموضوع: "وأرى أن للباء بما فيها من معنى الإلصاق إيجاء بعض قدرة الله تعالى، وبالغ فضله على بني إسرائيل حيث فرق بهم البحر وهو ملاصقون له متلبسون بمصدر

¹ ينظر: عبد العزيز موسى درويش علي، محمد علي سليم الهواري، قراءة لغوية فقهية في آية الوضوء، جامعة البلقاء التطبيقية - كلية الأميرة عالية الجامعية - الشميساني - عمان، م1، ص14.

² ينظر: نفسه، ص14.

³ الزمخشري، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ج1، ط1، 1998م - 1418هـ، ص268.

الهلاك الذي أودى بعدوهم، فأنجاهم وأغرق عدوهم، وهم منه جد قريب، كما يعبر عنه قوله « وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ».¹ فالباء هنا حسب قوله جاءت بمعنى الإلصاق.

أما ابن عاشور فقال: " والباء في بكم إما للملابسة كما في طارت به العنقاء وعدا به الفرس، أي كان فرق البحر ملابسا لكم والمراد من الملابسة أنه يفرق وهم يدخلونه فكان الفرق حاصلًا بجانبهم. وجوز صاحب الكشاف كون الباء للسببية أي بسببكم يعني لأجلكم، والخطاب هنا كالخطاب في قواه تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة:48]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ هو محل المنة وذكر النعمة وهو نجاتهم من الهلاك وهلاك عدوهم".²

1.2: السببية أو "التعليل": وهي الداخلة على سبب الفعل وعلته التي من أجلها حصل،³ و الباء في حال السببية تدخل على سبب الفعل أو علته، وعرفها بعضهم؛ بأنها الصالحة غالباً - لحلول اللام محلها،⁴ وهي الداخلة على صالح للاستغناء به عن الفاعل معداها مجازاً؛ نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [إبراهيم:34] فلو قصد إسناد الإخراج إلى الهاء لحسن.⁵

وفي هذا المعنى "السببية" نستدل بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ ﴾ [البقرة:53]. أي: بسبب اتخاذكم العجل إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [العنكبوت:40]. أي: عاقبناهم بإرسال الريح، والأخذ بالصيحة، والخسف، والغرق بسبب استكبارهم في الأرض وصددهم عن سبيل الله، "كُلُّ" بسبب ذنبه، و"الباء" بحسب هذا المعنى كثيرة في القرآن.

¹ محمد الأمين الحضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1989م-1409هـ، ص 167.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984، ج1، ص494.

³ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط28، 1993م، ج3، ص179.

⁴ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص451.

⁵ ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1،

1992م-1413هـ، ص39.

1.3: الاستعانة: وذلك عندما تدخل الباء على آلة الفعل، بحيث يكون ما بعد الباء، هو الآلة لحصول المعنى الذي قبلها.¹ نحو: كتبت بالقلم، ومنه البسملة "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"؛ لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها. وروي النسائي، عن أبي المليح، عن رذيف رسول الله ﷺ قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَثَرْتَ بِكَ الدَّابَّةُ، فَلَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ يَتَعَاظُمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقَوِّي صَنَعْتُهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ»² ومن خلال الحديث السابق فمعنى الباء في البسملة هو الاستعانة، أي: الاستعانة بالله.

وقد ورد في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي أن العلماء قالوا أن "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" قسم من ربنا، أنزله عند رأس كل سورة، يُقسم لعباده: إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري،³ ومن خلال ذلك فالباء في "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" تحمل معنى الاستعانة والقسم في ذات الوقت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 39]. ف(الباء) هنا للاستعانة.

1.4: الظرفية بمعنى "في": قال المرادي: "وعلامتها أن يحسن في موضعها (في)".⁴

قد تكون حقيقية مكانية؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

وقد تكون حقيقية زمانية؛ نحو قوله تعالى: ﴿تَجْنِيهِمْ بِسَحْرِ﴾ [القمر: 34].

كما قد تكون ظرفية مجازية؛ نحو قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: 26].⁵

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص451.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، ج1، ص142_143.

³ ينظر: نفسه، ص142.

⁴ حسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1992م، ص40.

⁵ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص451.

2: من معانيها؛ التعديّة، البدليّة، العوض، المصاحبة:

2.1: التعديّة أو "النقلية": وهي من المعاني التي تمتزج فيها الوظائف النحوية الفرعية، بالدلالات السياقية.¹ وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، وأكثر ما تُعدّي الفعل القاصر، نقول في ذهب زيد: ذهب بزيد، وأذهبته، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:17] وقرأ (أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ) وهي بمعنى القراءة المشهورة، وقول المبرد والسهيلي «التعدنين فرقاً، وإنك إن قلت ذهب بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب» مردودٌ بالآية، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة:19] فيحتمل أن الفاعل ضميرُ البرق.²

أما الدكتور حسن شريف فيرى أن في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:17] أن أصل معناها (ذهب نورهم) فقد نقلت الفعل (ذهب) من اللزوم إلى التعديّة، ونقلته أيضاً ليصبح بمعنى الرباعي (أذهب)، وجعلت الفاعل (نورهم) مفعولاً به في المعنى.³ وفيما يلي نذكر بعض الآيات التي تدل على معنى "التعديّة":

قوله تعالى: ﴿فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَيَّ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾ [المؤمنون:18].⁴

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الاسراء:86].⁵

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:16].⁶

2.2: البدليّة: وهي التي تدل على اختيار أحد الشيعين على آخر بلا عوض ولا مقابلة. ومثال ذلك في الحديث "ما يسرني بها حمر النعم" أي: بدلها.¹ ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص451.

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص107_108.

³ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص451.

⁴ نفسه، ص480.

⁵ نفسه، ص478.

⁶ نفسه، ص454.

عَدَابٍ يَوْمَ عَذَابٍ بَيْنِيهِ ﴿[المعارج:11]﴾. وفي هذا الموضع يمكن أن تحل كلمة (بدل) محل (الباء) من غير أن يتغير المعنى.

2.3: العوض أو "المقابلة": وهي التي تدل على تعويض شيء من شيء في مقابلة شيء آخر.² نحو قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:23]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران:76].

2.4: المصاحبة: أي بمعنى "مع"، نحو: خرجت بهم، أي: معهم.³

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر:03]. اختلف في الباء في هذا الموضع، فقيل: للمصاحبة، والحمد مضاف إلى المفعول، أي: فسبحه حامداً له، أي: نزهه عما لا يليق به... وقيل للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، أي: سبحه بما حمد به نفسه؛ إذ ليس كل تنزيه بمحمود، ألا ترى تسييح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات.⁴

3: من معانيها؛ الملابس، التبويض، الجاوزة، الاستعلاء:

3-1- : الملابس "الحال": وذلك عندما يغني الحال عن الباء وعن مصحوبها، وأطلق عليها كثير من النحاة اسم "باء الحال".⁵

وفي هذا المعنى نستدل بقوله تعالى: ﴿إِهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ [هود:48] أي: مسلماً عليك، أو ملابساً للسلام،¹ قال الإمام الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن أن أبو جعفر قال: يقول تعالى

¹ المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1992، م1، ص40.

² مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط28، 1993م، ج3، ص170.

³ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

⁴ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص109.

⁵ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

ذكره: يا نوح، اهبط من الفلك إلى الأرض، «بسلام منا»، يقول: بأمن منا أنت ومن معك، من إهلاكنا...، واستدل بالحديث (18254) حدثني يونس قال، قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «اهبط بسلام منا...»، قال: هبطوا والله عنهم راضٍ، هبطوا بسلام،² ومنه فإن السلام مصاحب وملازم للهبوط، وهو قول بالمصاحبة (الملاعبة)، أما الإمام القرطبي فقال: "في قوله تعالى: ﴿إِهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ أي: قالت له الملائكة، أو قال الله تعالى له: اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض، فقد ابتلعت الماء وجفت. «بسلام منا» أي: بسلامة وأمن، وقيل: بتحية³ ويفهم من تفسيره أن الباء جاءت في هذا الموضع بمعنى الملاعبة "اهبط بسلامة وأمن". في حين قال أبي حيان الأندلسي في تفسير لبحر المحيط: "بني الفعل للمفعول"، فقيل: القائل هو الله تعالى، وقيل: الملائكة تبليغا عن الله تعالى... أي: اهبط مسلماً عليك مكرماً⁴ ومما سبق فالباء هنا للملاعبة، أي: مع سلامة وبركة من الله، لا سخط ولا عقوبة.

3-2- : التبعيض أو "البعضية": وهي أن يكون الاسم المجرور بالباء بعضاً من شيء قبلها،⁵ أثبت ذلك الأصمعي، والفارسي، والقُتبي، وابن ملك، قيل: والكوفيون، وجعلوا منه "التبعيض": ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الانسان:06]⁶ وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:28] أي: منها "يشرب منها" وفي هذا المعنى "التبعيض" خلاف بين النحاة، فقد نفى بعضهم وجوده كمعنى للباء وقصره

¹ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

² ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية- القاهرة (ت864240)، ج15 "يونس، هود، يوسف"، ص353-354.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006م-1467هـ، ج11، ص138.

⁴ أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993م-1413هـ، ج5 "التوبة إلى النحل"، ص231.

⁵ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

⁶ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية (21)، ج2، ص140.

على(من) وحدها دون غيرها من حروف الجر،¹ ومنه فالباء في هذا المعنى وردت في موضعين في القرآن الكريم "الموضعين السابقين"، وربما هذا ما جعل أغلب النحاة ينفي وجود هذا المعنى في حرف الباء.

3.3: المجاوزة: وفي هذا المعنى تكون الباء موافقة لمعنى (عن)،² وهو من المعاني المختلف فيها بين النحاة؛ نحو: قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:01]، وقد أنكر البصريون هذا المعنى.³ فمنهم من قال أنها بهذا المعنى تختص بالسؤال ومنهم من قال لا تختص به؛ وهذا ما ورد في كتاب المغني للبيب عن كتب الأعراب لابن هشام: «فقيل: تختص بالسؤال، نحو: ﴿فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان:59] بدليل: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ [الاحزاب:20]، وقيل: لا تختص به؛ بدليل: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد:12]»⁴ وفي ما يلي نذكر بعض الشواهد القرآنية التي وردت فيها الباء بمعنى المجاوزة:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا دَمُّ أَنْبِيئِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:32]⁵.

وقوله تعالى: ﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:107]⁶.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُتَفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:64]⁷.

3-4-: الاستعلاء: وهو أن تأتي الباء موافقة لمعنى (على)،¹ نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾

﴿آل عمران:74]، بدليل: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَيَّ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾

﴿يوسف:64] فالباء في "بقنطار" جاءت بمعنى "على" أي: ومنهم من إن تأمنه على قنطار.

¹ ينظر: محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

² نفسه، ص452.

³ ينظر: طه الأمين بودانة، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص393.

⁴ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص136.

⁵ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص454.

⁶ نفسه، ص464.

⁷ نفسه، ص470.

وعبر بعضهم عنه "الاستعلاء" بموافقة (على) نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المطففين:30]؛ حرف الباء في كلمة "بهم" بمعنى على أي: مروا على.³

4: من معانيها؛ الغاية، التوكيد، التعجب، القسم:

4-1-: الغاية: وهي أن تكون الباء موافقة لمعنى (إلى)،⁴ وهذا المعنى من المعاني التي اختلف فيها النحاة، نحو: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف:100]؛ أي: أحسن إليّ، عند من يرى ذلك، ومنها كذلك "التجريد"... ومعنى التجريد ينسحب على جميع المعاني الفرعية الأخرى التي ذكرها النحاة⁵، وفي هذه الآية "بي" بمعنى إلي، وقيل ضمن أحسن معنى لطف.⁶ أي: قد أحسن إليّ إذ أخرجني من السجن.

4-2-: التوكيد: وذلك عندما تكون الباء زائدة نحويًا على سبيل الجواز في مواضع معينة، أي يمكن الاستغناء عن وظيفتها النحوية، مع وجود وظيفة أخرى معنوية لها، وهي التقوية والتوكيد.⁷ وتكمن هذه الزيادة في ستة مواضع نذكرها كالتالي:

✓ الفاعل: وزيادتها فيه؛ واجبة وغالبة وضرورة،⁸ وذلك نحو قولهم: كفى بالله، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حُسَيْنٍ﴾ [الانبياء:47]؛ إنما هو: كَفَى اللَّهُ، وَكَفَيْنَا، كقول سُحَيْمٍ:
..... كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

¹ مُجَدِّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف مُجَدِّد الخطيب، السلسلة التراثية (21)، ج2، ص138-139.

³ شهرياني، حرف الباء ومعانيه في سورة آل عمران (دراسة تحليلية نحوية ودلالية)، "رسالة دكتوراه، قسم تدريس اللغة العربية-كلية التربية وشؤون التدريس بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر 2018م، ص10.

⁴ مُجَدِّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

⁵ ينظر: الأمين بودانة، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، ص393.

⁶ شهرياني، حرف الباء ومعانيه في سورة آل عمران (دراسة تحليلية نحوية ودلالية)، "رسالة دكتوراه"، ص10.

⁷ مُجَدِّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

⁸ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومُجَدِّد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص112.

فالباء وما عملت فيه في موضع مرفوع بفعله. كما أجاز أبو بكر محمد بن السري أن يكون قولهم: كفى بالله، تقديره: كفى اكتفائك بالله، أي: اكتفائك بالله يكفيك، وهذا يضعف عند ابن جني لأن الباء على هذا متعلقة بمصدر محذوف وهو الاكتفاء.¹ ومنه فالباء زائدة للتوكيد.

✓ المفعول به: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة:194]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ [الحج:23].

✓ المبتدأ: وذلك في قولهم « بحسبك درهم » و« خرجت فإذا بزيد » و« كيف بك إذا كان كذا » ومنه عند سيويه: قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونُ﴾ [القلم:06]؛ وقال أبو الحسن: بأيكم متعلق باستقرار محذوف مخبر به عن المفتون، ثم اختلف فقيل: المفتون مصدر بمعنى الفتنة، وقيل: الباء ظرفية، أي في أي طائفة منكم المفتون.²

✓ خبر الناسخ: وهو ضربان: غير موجب نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِعَفْلٍ﴾ [البقرة:84]، وموجب فيتوقف عن السماع، وهو قول الأخفش ومن تبعه، نحو قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ [يونس:27]؛ ففي "مبثلها" تعليق باستمرار محذوف هو الخبر.³

✓ الحال المنفي عاملها: لأنها شبيهة بالخبر، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:117]⁴

✓ ألفاظ التوكيد المعنوي "النفس والعين": وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة:226] وفيه نظر؛ إذ حق الضمير المرفوع المتصل المؤكد بالنفس أو بالعين أن يؤكد أولاً بالمنفصل نحو «قمتم أنتم أنفسكم» ولأن التوكيد هنا ضائع؛ إذ المأمورات بالتربص لا يذهب

¹ ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: الدكتور حسن هندراوي، ص141.

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص116.

³ نفسه، ص 117.

⁴ شهرياني، حرف الباء ومعانيه في سورة آل عمران (دراسة تحليلية نحوية ودلالية)، "رسالة دكتوراه"، ص11.

الوهم إلى أن المأمور غير هن، بخلاف قولك «زارني الخليفة نفسه» وإنما ذكر الأنفس هنا لزيادة البعث على التبرص؛ لإشعاره بما يستنكف من طموح أنفسهم إلى الرجال.¹

3-4- : التعجب: وهي حالة زاد فيها الباء وجوباً في الاسم بعد صيغة (أفعل) المستعملة في التعجب القياسي: "أعظم بالمحسن"، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم:37]؛ والمعنى: هؤلاء ممن يتعجب منهم، ولذلك سميت الباء عندها (باء التعجب)،² ومنه فالباء في "بهم" زائدة، والآية تعبر عن التعجب من قوة سمعهم وبصرهم يوم القيامة، بعد أن كانوا في الدنيا لا يسمعون ولا يبصرون الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف:26]؛ اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، لكن الرأي الأرجح والأكثر شيوعاً عند المفسرين وأهل اللغة هو: تفسير القرطبي: "أبصر به وأسمع" أي: ما أبصره وأسمعه، قال قتادة: لا أحد أبصر من الله ولا أسمع، وهذه عبارات عن الإدراك، ويحتمل أن يكون المعنى «أبصر به» أي بوحيه وإرشاده هداك وحججك والحق من الأمور، وأسمع به العالم؛ فيكونان أمرين لا على وجه التعجب، وقيل: المعنى أبصرهم وأسمعهم ما قال الله فيهم.³ أما ابن عاشور في التحرير والتنوير فقال في { أبصر به وأسمع } صيغتا تعجب من عموم علمه تعالى بالمغيبات من المسموعات والمبصرات ، وهو العلم الذي لا يشاركه فيه أحد.⁴

ومنه فالباء في الآيتين السابقتين تحمل معنى التعجب والتوكيد في ذات الوقت.

4.4: القسم: وهي "الباء" أصل أحرفه، دون غيرها من حروف القسم (اللام، الواو، التاء، من)، حيث تشترك الباء مع هذه الأحرف في جواز حذفها مع بقاء الاسم المجرور بها على حاله،

¹ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1، ص118.

² محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص452.

³ القرطبي (ت671هـ)، التفسير الشامل، الجامع لأحكام القرآن - سورة الكهف - الآية26.

⁴ ينظر: ابن عاشور - التحرير والتنوير ، القرآن الكريم - تفسير سورة الكهف - الآية 26.

بشرط أن يكون هذا الاسم هو لفظ الجلالة (الله)، غير أنها تخالف تلك الحروف في ثلاثة أمور تنفرد بها دون غيرها وهي:

1. جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أو حذفهما.
2. جواز أن يكون المُقسم بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً.
3. جواز أن يكون المُقسم بالباء استعظافياً (وهو الذي يكون جوابه إنشائياً).¹

وفي ما يلي نذكر بعض المواضع القرآنية التي وردت فيها الباء بمعنى القسم حسب ما ورد في معجم المعاني لمحمد حسن الشريف الجزء الثاني:²

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا^ط﴾ [النساء: 61].

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ [التوبة: 62].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: 51].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: 42].

ومما سبق فإن حرف الباء من أكثر حروف الجر وروداً في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، وله عدة دلالات فمنها ما هو نحوي؛ ك: الإلصاق بنوعيه حقيقي ومجازي، والسببية، والاستعانة، والمصاحبة، والقسم، والبدل... ومنها ما هو بلاغي معنوي؛ كالتوكيد، والإلصاق المجازي،... وكل دلالة لها دور ومعنى مهم تؤديه في السياق الذي ترد فيه.

¹ ينظر: حمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ط1، م2، (1417هـ_1996م)، ص453.

² نفسه، ص461-486.

ثانياً: دلالات الباء في الأفعال الكلامية؛ دراسة تحليلية تطبيقية:

تُعدّ الأفعال الكلامية في القرآن الكريم من أبرز الأساليب التي تُجسّد البعد التداولي للغة، إذ لا يقتصر دورها على نقل المعاني، بل تتجاوز ذلك لتُحدث أثراً فعلياً في نفس المتلقي؛ كالأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والدعاء، والتقريب...، فقد جاء القرآن خطاباً إلهياً يتوجّه إلى الإنسان بكل أبعاده النفسية والعقلية، مُوظِّفاً الأفعال الكلامية لإقناع المخاطب أو إلزامه أو ترغيبه أو تهيبه...، ومن خلال توظيف هذه الأفعال، يكتسب الخطاب القرآني قوة تأثيرية وتوجيهية تعكس عمق البنية البلاغية والتواصلية فيه، مما يجعل دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ضرورة لفهم أبعاده التداولية والبلاغية، وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على حرف الباء في الأفعال الكلامية "التصريحية، الإنجازية، التأثيرية" باعتباره من أكثر الحروف العربية ثراءً دلاليًا، وذلك من خلال تحليله من حيث دوره في تشكيل المعنى داخل هذه الأفعال، وما إذا كان يُضيف تحديداً دلاليًا، أم أنه مجرد رابط نحوي.

1: دلالات الباء في الأفعال الكلامية التصريحية:

مفهوم الفعل التصريحي: « locutionary act »: يعرفه الأستاذ صحراوي أنه "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"¹، وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع ما تحديد ما لها من معنى ومشار إليه، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول؛ لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول.² كما أنه يتعلق بنوع آخر من الأفعال الكلامية وهو الفعل الإنجازي.

الباء في الأفعال الكلامية التصريحية في القرآن الكريم تستخدم غالباً على وجه التعديّة، كونها تدخل على الفعل لتفيد التصريح، وتسمى "باء التصريح"، حيث تأتي في سياقات يكون فيها؛ الكلام، أو القول، أو الشهادة، أو الاعتراف... موجهًا بشيء معين تصريحًا لا تلميحًا، وفي ما يلي نعرض بعض المواضع التي وردت فيها "الباء" بمعنى التصريح في القرآن الكريم:

¹ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 141.

² حانو نور الهدى، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، 2019م-1440هـ، ص 18.

كما سبق الذكر أن الأفعال التصريحية كثيرة؛ قال، أخبر، نادى، بشر، أنبأ... ولحرف الباء معاني تضيفها في هذه السياقات، لا يمكن الإلمام بكل هذه الأفعال نظراً لمحدودية البحث ولأن القرآن الكريم معجز بألفاظه ومعانيه، سنعرض بعض هذه الأفعال في بعض المواضع القرآنية:

أمثلة على "الباء" في "بسم الله" و"باسم ربك": الباء في هذه المواضع تحمل معاني تصريحية، حيث تُستخدم لتوضيح أو تأكيد ما يُقال أو يُفعل:

1: وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُزْسِئَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41].

في هذه الآية وردت "بسم الله" بمعنى "بداية العمل بسم الله" أو بمعنى آخر "التوكل على الله"، مما يُظهر الالتزام بالتوكل على الله في أي عمل، نحو ما ذكره الزمخشري في الكشاف؛ «يروى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست. ويجوز أن يقحم الاسم، كقوله: ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا؛ ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها، أي بقدرته وأمره»¹، ومنه ف"بسم الله" في هذا الموضع تُستخدم للتصريح ببداية العمل باسم الله، و"إن ربي لغفور رحيم" فعل تصريحي إيماني يتضمن: قوة تقريرية (إن ربي)، مضمونها خبري (لغفور رحيم).

وبالباء هنا وردت بمعنى الاستعانة، أي: أستعين أو أتوكل على الله، وهذا ما ذكره محمد حسن الشريف في معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، أن الباء في هذا الموضع بمعنى الاستعانة.

2: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 01].

في هذه الآية "باسم ربك" جاءت بمعنى "بداية القراءة باسم الله" مما يُظهر التقديس والتوكل على الله عند المباشرة في قراءة القرآن، ونستنتج هنا قدسية كلام الله وضرورة تعظيمه و مكانته الرفيعة، فقد فسر ذلك الإمام الطبري (ت310) في جامع البيان في تأويل آي القرآن فقال: «يعني جل ثناؤه بقوله: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) مُحَمَّدًا ﷺ يقول: اقرأ يا مُحَمَّدُ بذكر ربك (الَّذِي خَلَقَ)»، أما ابن عاشور في تحرير المعنى

¹الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،الموسوعة القرآنية "موسوعة شاملة للقرآن الكريم وعلومه"، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ج 4،ص394-395.

السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد فيقول أن في هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن، وقوله تعالى: " اِقْرَأْ أَمْرٌ بِالْقِرَاءَةِ، وَالْقِرَاءَةُ نُطْقٌ بِكَلَامٍ مُعَيَّنٍ مَكْتُوبٍ أَوْ مَحْفُوظٍ عَلَى ظَهْرِ قَلْبٍ"، ويرى أن الأَمْرَ بِالْقِرَاءَةِ مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِيقَتِهِ مِنَ الطَّلَبِ لِتَحْصِيلِ فِعْلٍ فِي الْحَالِ أَوْ الْإِسْتِقْبَالِ، أما الباء هنا فيقول "ابن عاشور" أنها تحمل ثلاث معاني: أَوْهَاتًا: «أَنْ يَكُونَ افْتِتَاحَ كَلَامٍ بَعْدَ جُمْلَةٍ اقْرَأْ وَهُوَ أَوَّلُ الْمَقْرُوءِ، أَيْ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَتَكُونُ الْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ فَيَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: ابْتَدِئْ وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ اقْرَأِ الثَّانِي فَيَكُونُ تَقْدِيمُهُ عَلَى مَعْمُولِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِشَأْنِ اسْمِ اللَّهِ، وَمَعْنَى الْإِسْتِعَانَةِ بِاسْمِ اللَّهِ ذِكْرُ اسْمِهِ عِنْدَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ»، والثاني: «أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ وَيَكُونُ الْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ اقْرَأِ الثَّانِي مُقَدِّمًا عَلَى عَامِلِهِ لِلِاخْتِصَاصِ، أَيْ اقْرَأْ مَا سَيُوحَى إِلَيْكَ مُصَاحِبًا قِرَاءَتِكَ (اسْمَ رَبِّكَ)، فَالْمُصَاحَبَةُ مُصَاحَبَةُ الْفَهْمِ وَالْمُلاحَظَةِ لِجَلَالِهِ»، والثالث: «أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ بِمَعْنَى (عَلَى)، ... وَالْمَعْنَى: اقْرَأْ عَلَى اسْمِ رَبِّكَ، أَيْ عَلَى إِذْنِهِ»، هذا من منظور ابن عاشور،¹ وذكر محمد حسن الشريف في معجم المعاني أن الباء في هذا الموضع للاستعانة.

ومنه فالآية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿ثُمَّ يَسْأَلُ لِسِيَّاقِ خَبْرِي فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾﴾ [العلق: 02] التي تحتوي على فعل تصريحي صريح (إخباري عن خلق الإنسان) ، يقر بحقيقة كونية.

مثال على الباء في القسم " قالوا تقاسموا بالله ":

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: 51].

في هذه الآية الفعل التصريحي هو: "قالوا"؛ و(قالوا تقاسموا بالله) بمعنى "نتقاسم بالله" أي: "نتعاهد بالله"، وإذ أردنا تحليل "قالوا تقاسموا بالله" فنجد أن: (قالوا) فعل القول، و(تقاسموا بالله) هو مضمون ما قالوه، وتفسيرها حسب ما ورد في الجلالين: «﴿قالوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾ أي إحلّفوا ﴿بالله لنبيّته﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وأهله﴾ أي من آمن به أي

¹ ينظر: الموسوعة القرآنية "موسوعة شاملة للقرآن الكريم وعلومه"، تحرير المعنى وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ابن عاشور (ت1393)، ص335-336.

نقتلهم ليلاً»¹، أم ابن عاشور في التحرير والتنوير فقد قال: {وجملة «قالوا» صفة ل«تسعة»، أو خبر ثان ل«كان»، أو هو الخبر ل«كان»،...، والمعنى: قال بعضهم لبعض. و«تقاسموا» فعل أمر، أي قال بعضهم: تقاسموا، أي ابتداء بعضهم فقال: تقاسموا. والقسم بالله يدل على أنهم كانوا يعترفون بالله ولكنهم يشركون به الآلهة كما تقدم في قصصهم فيما مر من السور}.² ومنه فالباء هنا جاءت بمعنى القسم.

وفي تنمة الآية ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مُهْلِكٌ أَهْلِيهِ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ﴾ يأتي فعل تصريحي صريح وهو قولهم: "لنقولن"، واستنتاجا من السياق العام للآية فهو فعل تصريحي كاذب، فهم يتعهدون ويصرحون بالكذب وتلفيق شهادة الزور.

مثال على الباء في "بالحق":

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُوْلَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح:27].

وفي هذا الموضع دخلت الباء على المقول به "بالحق"، وهو متعلق بالفعل "صدق"، ويفيد التوكيد والتصريح، وتفسير هذه الآية: «قال الله هنا: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُوْلَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ أي: لا بد من وقوعها وصدقها، ولا يقدر في ذلك تأخر تأويلها»³ ومنه فهذه الآية تثبت صدق رؤيا رآها النبي ﷺ، وهي رؤياه أنه سيدخل المسجد الحرام هو وأصحابه، وقد صدقه الله فيه، وابن عاشور في التفسير فقال: {وتوكيد الخبر بحرف (قد) لإبطال شبه المنافقين الذين قالوا: فأين الرؤيا؟ ومعنى «صدق الله رسوله الرؤيا» أنه أراه رؤيا صادقة... وتعديّة «صدق» إلى منصوب ثان بعد مفعوله من النصب على نزع الخافض المسمى بالحذف والإيصال، أي حذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور بالعمل فيه

¹ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط1، ج1، ص500.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج19، ص282-283.

³ السعدي، تيسير الكريم الرحمان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م-1420هـ، ج1، ص895.

ال نصب {¹ والباء في هذا الموضح للملابسة، لقول ابن عاشور: {والباء في «بالحق» للملابسة وهو ظرف مستقر وقع صفة لمصدر محذوف، أي صدقا ملابسا الحق،... والحق: الغرض الصحيح والحكمة. }².

ومنه ففي هذا السياق فعل تصريحي هو: "صَدَقَ"، يُقر حقيقة تحققت، فالله سبحانه وتعالى يُصرح بحقيقة تحقق الرؤيا التي رآها النبي ﷺ ويؤكد وقوعها في الواقع لأنها رؤية صادقة نزلت من عند الله، وعلاقة الباء بهذا الفعل هي علاقة تقوية وتأکید حيث تُقوي الصدق في التصريح.

2: دلالات الباء في الأفعال الكلامية الإنجازية:

مفهوم الفعل الإنجازي: « illocutionary act » : ما يميز هذا الفعل عن سابقه هو اشتماله على القوة الإنجازية، فنقول أن الجملة لها قوة الخبر في موضع، ولها قوة التحذير في موضع آخر،³ و يرى الأستاذ صحراوي أنه هو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ "أنه عمل ينجز بقول ما"،⁴ وينتج عنه وعن الفعل الإنجازي فعل ثالث سنذكره لاحقاً.

في إطار ما يسمى نظرية الأفعال الكلامية التي نشأت في الدرس التداولي الحديث، برزت أهمية الأفعال التي يؤدي بها المتكلم إنجازاً فعلياً بمجرد النطق بها، وتُعرف بـ"الأفعال الإنجازية؛ مثل: "أشهد"، "أقسم"، "أعلن"، "أعاهد"، وغيرها. وهذه الأفعال لا تُعد مجرد إخبار عن واقعة، بل تشكل بذاتها فعلاً لغوياً يُنجز مهمة معينة (كدعاء، أو قسم، أو تبليغ، أو إعلان موقف)، وعند تتبع هذه الأفعال في القرآن الكريم، يلاحظ اقتران بعضها بحرف الباء، وفي ما يلي نعرض بعض المواضع التي اتصلت فيها الباء بأفعال إنجازية:

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج26، ص198.

² نفسه، ص198-199.

³ حانو نور الهدى، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، 2019م-1440هـ، ص18.

⁴ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية(نظرية الأفعال الكلامية)، ص142.

مثال على الباء في "بمومن":

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: 17].

في هذا الموضع جاءت " بمومن لنا " بمعنى "بمصدق لنا"، نحو ما قاله الطبري: «وما أنت بمومن لنا»، يقولون: وما أنت بمصدقنا على قيلنا: إن يوسف أكله الذيب، ولو كنا صادقين!¹ وقال ابن عاشور: "وقوله «وما أنت بمومن لنا» خبر مستعمل في لازم الفائدة، وهو أن المتكلم علم بمضمون الخبر، وهو تعريض بأنهم صادقون فيما إدعوه لأنهم يعلمون أن أباهم لا يصدقهم فيه، فلم يكونوا طامعين بتصديقه إياهم."² ومنه فالمعنى المقصود من الآية؛ قول إخوة يوسف لأبيهم "لن تصدقنا، ولو كنا نحن صادقين فيما نقوله" وهنا معنى بلاغي وهو "الاستعطف"، وهنا تظهر وظيفة تداولية وهي التبرير لكذبهم من أجل استعطف قلب والدهم، والفعل "بمومن" فعل إنجازي تصريحي، أما الباء فهي زائدة لتقوية النفي، أي: بمعنى التوكيد.

مثال على الباء في الفعل "فيقسمان بالله لشهادتنا":

الفعل الإنجازي "أشهد" قد يرد في بعض الآيات بمعنى واضح ، وقد يرد بمعنى ضمني، يفهم من معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿ فَيُقْسِمُنِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدْتَهُمَا ﴾ [المائدة: 109].

وفي هذه الآية "فيقسمان بالله لشهادتنا" بمعنى "يلحضان بالله" نحو ما ورد في التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة "...ويقسما بالله على أن شهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين"³، أما ابن عاشور فيقول: "أما «فيقسمان بالله» عطف على «تجسوتهما»... فالحلف يلحظه شاهدا الوصية اللذان هما غير مسلمين لزيادة الثقة بشهادتهما لعدم الاعتداد بعدالة غير المسلم"⁴، ومنه نستنتج أن القسم هنا

¹ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ج15، ص578.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص237.

³ محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، 1383هـ، ج1، 651_650.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص86.

ورد لتوكيد الشهادة، وفعل القسم هنا "فيقسمان" فعل تعهد أي: التعهد بأداء شهادتهما وهو هنا فعل إنجازي نوعه تعهدي، فالقسم هنا يُنجز وظيفة توكيدية، أما الباء في هذا الموضع فقد وردت بمعنى القسم، وهو ما يتجلى بمعنى صريح في الآية.

مثال على الباء في " وما هو على الغيب بضنين":

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَيَّ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير:24].

في هذه الآية جاءت "وما هو على الغيب بضنين" حسب ما ورد في تفسير السعدي بمعنى " وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين.."¹ فالآية تنفي أن يكون النبي ﷺ متهمًا بالكذب في نقله عن الغيب، أما ابن عاشور في التحرير والتنوير فحسبه الضمير عائد إلى «صاحبكم» كما يقتضيه السياق، والغيب: ما غاب عن عيان الناس، أو عن علمهم وهو تسمية بالمصدر، أما عن معنى «بضنين» فهو البخيل الذي لا يعطي ما عنده مشتق من الضنّ بالضاد من مصدر ضنّ، إذا بخل، ومضارعه بالفتح والكسر؛ أي: ما صاحبكم ببخيل، أما على في "على الغيب" فيرى أنها على هذا الوجه بمعنى الباء مثل قوله تعالى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَيَّ اللَّهُ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ [الاعراف:104] أي: حقيق بي، ولتضمن «ضنين» معنى حريص، والحرص: شدة البخل، ... والمعنى: وما صاحبكم بكاتم شيئًا من الغيب²، والجملة "وما هو على الغيب بضنين" إنجازية تُنجز أكثر من معنى؛ تقرير، تبرئة، توثيق، والباء هنا وردت بمعنى التوكيد حسب ما ورد في معجم حروف المعاني في القرآن الكريم لمحمد حسن الشريف وهي زائدة برأي جمهور النحاة.

¹ الموسوعة القرآنية، تفسير سورة التكوير من كتاب تيسير الكريم الرحمان المعروف بتفسير السعدي، ص916.

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج30، ص163.

3: دلالات الباء في الأفعال الكلامية التأثيرية:

مفهوم الفعل التأثيري: « perlocutionary act »: هو ما يسميه أوستين " الفعل الناتج عن القول"، ويمكن تعريفه بأنه: "الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي".¹ وبعبارة أخرى هو الأثر الذي يحدثه الكلام في المتلقي ويختلف نوع هذا الأثر حسب سياق الكلام²، وتحصيلاً من التعريفين السابقين فالأفعال التأثيرية هي: أفعال لغوية تؤدي وظيفة التغيير أو التأثير في نفس المخاطب، كأن تحمل أمراً، نهيًا، وعداً، تهديداً، ترغيباً، تحذيراً، وهكذا.

وفي ما يلي نحلل بعض الأفعال الكلامية التأثيرية في نماذج مختارة من الذكر الحكيم مع تبيان دلالة الباء فيها ومساهمتهما في الإعجاز القرآني:

مثال على الباء في "ذالكم يوعظ به من كان يؤمن بالله":

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق:02].

هذه الآية جزء من أحكام الطلاق في سياقها العام ، وفيها يبين الله أن هذه التوجيهات من "عدة ، طلاق، رجعة،... "لا تؤثر إلا في من فيه قابلية الإيمان والتقوى، نحو ما ورد في تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لابن عاشور (ت1993): «...ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِقُضِيَّةٍ عَامَّةٍ، وَهِيَ أَنَّ تِلْكَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَبِمَا لَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ حَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ مِنْ تَعْقِيبِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّرْغِيبِ بِالشَّارَةِ وَالتَّرْغِيبِ.»³، فالتأثير هنا سلوكي وجداني في السامع، لترسيخ إتباع أوامر الله، فالمتكلم هو الله سبحانه وتعالى، والمخاطب جماعة المسلمين أو الناس عامة، فالسياق هنا تداولي لأن أثر الموعظة هنا ليست في ذاتها فقط بل تكمن في قابلية المتلقي لأنها تؤثر على المسلم المؤمن لأن الآية تربط بين سلوك الإتياع وحقيقة

¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، ص 143-144.

² ينظر: حانو نور الهدى، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، 2019م-1440هـ، ص 19.

³ ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، ج1، ص311.

الإيمان، والباء هنا بمعنى الاستعانة حسب ما ورد في معجم حروف المعاني في القرآن الكريم لمحمد حسن الشريف.

مثال على الباء في "فبشّرهم بعذاب اليم":

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق:24].

الفعل "بشر" عادة ما يرد في السياق القرآني بمعنى البشارة للخير، لكننا نلاحظ أنه في هذه الآية ورد بمعنى بشارة مؤلمة، نحو ما ورد في مختصر التفسير لابن كثير: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا¹، وما ذكره ابن عاشور في تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ تَفْرِيعٌ عَلَى جُمْلَةِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ، وَفَعْلُ «بَشِّرْهُمْ» مُسْتَعَارٌ لِلْإِنذَارِ وَالْوَعِيدِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّهْكُمِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّبَشِيرِ: الإِخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ وَيَنْفَعُ. فَلَمَّا عُلِقَ بِالْفِعْلِ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَانَتْ قَرِينَةً التَّهْكُمِ كَنَارٍ عَلَى عِلْمٍ²، ومما سبق فالفعل "بشر" فعل تأثيري، نوعه: تهديد، لأنه يحدث أثر نفسي سلبي في نفسية المخاطب كالخوف، التحذير... كون الخطاب هنا فيه نوع من التهكم وتهديد مبطن، أما معنى الباء في هذا الموضع فهو: الإلصاق وهذا ما ذكره محمد حسن الشريف في معجم حروف المعاني في القرآن الكريم.

مثال على الباء في "لنسفعًا بالناصية":

قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا لَعْنُ لَمْ يَنْتَهَ (15) لَنْسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:15-16].

هذه الآية وعيد شديد للطاغي (مثل أبي جهل) إن لم يمسك أذاه للنبي ﷺ، بأن يؤخذ من ناصيته وهنا قوة تصوير لإذلاله ومهانته، و تُصَوِّرُ شِدَّةَ الْعِقَابِ بِصُورَةٍ حَسِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، تَأْكِيدًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَيَقْهَرُ الظَّالِمَ الْمُتَكَبِّرَ، و«عن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلاً ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيته عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات، ثم قال لَعْنُ لَمْ يَنْتَهَ عما هو فيه لَنْسَفْعًا

¹ ابن كثير، مختصر التفسير، دار القرآن الكريم-بيروت-لبنان، ط7، 1981م-1402هـ، ج3، ص620-621.

² ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار التونسية للنشر، ج1، ص634.

بِالنَّاصِيَةِ لِنَأْخِذَ بِنَاصِيَتِهِ وَلِنَسْحِبَنَّهُ بِهَا إِلَى النَّارِ، وَالسَّفْعُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ¹، وَفِيمَا يَلِي نَعْرُضُ تَفْسِيرَ ابْنِ عَاشُورٍ وَهُوَ تَفْسِيرٌ نَحْوِي لِنَوْضِحَ دَلَالَةَ الْبَاءِ:

كَلَامًا: أَكَّدَ الرَّدْعَ الْأَوَّلَ بِحَرْفِ الرَّدْعِ الثَّانِي فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ وَهُوَ الْمَوْقِعُ الْحَقِيقِيُّ لِحَرْفِ الرَّدْعِ إِذْ كَانَ تَقْدِيمُ نَظِيرِهِ فِي أَوَّلِ الْجُمْلَةِ، لِمَا دَعَا إِلَيْهِ لِمَقَامٍ مِنَ التَّشْوِيقِ.

لِنَّ لَمْ يَنْتَهَ لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ: أَعْقَبَ الرَّدْعَ بِالْوَعِيدِ عَلَى فِعْلِهِ إِذَا لَمْ يَزِدْ وَيَنْتَهَ عَنْهُ، وَاللَّامُ مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَجُمْلَةُ «لِنَسْفَعَنَّ» «جَوَابُ الْقَسَمِ، وَأَمَّا جَوَابُ الشَّرْطِ فَمَحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَالسَّفْعُ: الْقَبْضُ الشَّدِيدُ بِجَذْبٍ.

وَالنَّاصِيَةُ: مُقَدَّمُ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَالْأَخْذُ مِنَ النَّاصِيَةِ أَخْذٌ مِنْ لَا يَشْرُكُ لَهُ تَمَكُّنٌ مِنَ الْإِنْفِلَاتِ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ أَخْذِهِ إِلَى الْعَذَابِ، وَفِيهِ إِذْلالٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْبِضُونَ عَلَى شَعْرِ رَأْسِ أَحَدٍ إِلَّا لَضْرِبِهِ أَوْ جَزِهِ. وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّفْعُ بِالْبَاءِ الْمَزِيدَةِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ لِتَأْكِيدِ اللَّصُوقِ، وَالثُّونُ نُونٌ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ الَّتِي يَكْثُرُ دُخُولُهَا فِي الْقَسَمِ الْمُثَبَّتِ، وَكُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ أَلْفًا رَعِيًا لِلنُّطْقِ لَهَا فِي الْوَقْفِ لِأَنَّ أَوَّخَرَ الْكَلِمِ أَكْثَرُ مَا تُرْسَمُ عَلَى مُرَاعَاةِ النُّطْقِ فِي الْوَقْفِ². وَمِنْهُ فَالْبَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَحْمَلُ مَعْنَيْنِ: الْأَوَّلُ الْإِلْصَاقَ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَالثَّانِي التَّوَكِيدَ.

ومما سبق فالفعل "النسفعاً" فعل كلامي تأثيري ردعي (وعيد مباشر ومهين)، والباء في "بالناصية" تحدد موضع الذل، وهي أيضا بمعنى الملازمة.

ختاماً؛ ومن خلال تتبع دلالات الباء في الأفعال الكلامية بالقرآن الكريم، يتضح أنها ليست مجرد أداة نحوية، بل تؤدي وظائف بلاغية دقيقة تتكامل مع نوع الفعل وسياقه التواصلية. كونها تؤدي وظائف بلاغية متعددة في القرآن الكريم، خاصةً عند اقترانها بالأفعال الكلامية؛ ففي الأفعال التصريحية

¹ الرمحشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3-1407هـ، ج4، ص778.

² ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار التونسية للنشر، 1403هـ، ج1، ص449-450.

تُسهّم في نقل المعنى بوضوح وموضوعية، وفي الأفعال التأثيرية تُعين على التأثير والتوجيه، بينما في الأفعال الإنجازية تُعطي للفعل قوّة التنفيذ والتحقّق. هذا التنوع في الاستخدام يكشف عن دقّة النظم القرآني، وعن عناية بالغة بتوظيف الأدوات اللغوية لخدمة المعنى والمقصد. وعليه، فإن دراسة الباء في هذه السياقات تفتح أفقًا لفهم أعمق لبنية الخطاب القرآني وديناميكية تواصله مع المتلقي.

الخاتمة

الخاتمة:

تُعد حروف المعاني من العناصر اللغوية الأساسية التي تؤدي وظائف دلالية دقيقة تتفاوت حسب السياق. وعلى الرغم من قصرها شكلاً، إلا أن أثرها في بناء المعنى وتوجيه الخطاب كبير. أما نظرية الأفعال الكلامية، فتتطرق إلى اللغة بوصفها أداة لإنجاز أفعال تؤثر في المتلقي، كالأمر، والوعد، والنهي، والتقدير. ومن خلال توظيف هذه النظرية في تحليل حروف المعاني، يتضح أن الحرف - مثل الباء - لا يكفي بدور نحوي، بل يساهم في تحديد المقصد التداولي للكلام. ومن ثم، فإن هذا الربط يعزز فهمنا للوظائف العميقة للغة، خاصة في النصوص القرآنية التي تتسم ببراءها الدلالي والتواصلية.

انطلاقاً من التحليل الذي تم إجراؤه للدلالات حروف المعاني في القرآن الكريم، ولا سيما حرف الباء في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، يمكن استخلاص مجموعة من الاستنتاجات التي توضح الدور المهم لهذه الحروف في تشكيل المعنى وتوجيه الأفعال الكلامية. وفيما يلي أبرز هذه الاستنتاجات:

1: إن التفاعل بين الدراسات اللغوية التراثية والنظريات اللسانية الحديثة، وخصوصاً التداولية منها، يفتح آفاقاً أوسع لفهم النصوص القرآنية في ضوء مقاصدها السياقية والوظيفية.

2: مساهمة نظرية الأفعال الكلامية في تقديم قراءة أعمق للقرآن الكريم من خلال فهم الأبعاد الوظيفية للأفعال اللغوية المرتبطة بحروف المعاني.

3: فعالية تطبيق نظرية الأفعال الكلامية في تحليل الحروف ذات الوظائف النحوية، ما يدل على إمكانية توسيع مجال هذه النظرية لتشمل مستويات لغوية أخرى غير الأفعال الصريحة.

4: تعدد الدلالات التداولية لحرف الباء في القرآن الكريم، والتي تجاوزت الإطار النحوي التقليدي لتشمل أدواراً وظيفية في إنتاج المعنى وتوجيه الخطاب.

5: إسهام حرف الباء في تحديد نوع الفعل الكلامي المنجز في السياق، سواء أكان إنشائياً (كالأمر والنهي والقسم) أم تقريرياً (كالإخبار والتقدير والتأكيد).

- 6: ارتباط دلالات الباء بالسياق الكلامي، حيث لا يمكن فهم معناها الحقيقي إلا من خلال تحليل السياق الذي وردت فيه، وهو ما يعكس البعد التداولي لاستخدامها.
- 7: إبراز دور الباء في تحقيق مقاصد المتكلم، وتوجيه المتلقي نحو استجابات معينة، مما يعزز من وظيفتها كأداة تواصلية فاعلة في الخطاب القرآني.
- 8: أظهرت الدراسة أن **حرف الباء** في الأفعال التصريحية يستخدم لتأكيد أو تصريح بحالة أو فعل معين و في القرآن الكريم، تأتي الباء لتربط الفعل بالكلام المؤكد أو لتصرّح بحقيقة ثابتة.
- 9: أن الباء في الأفعال الإنجازية تُستخدم لتحديد الأفعال التي تتحقق بمجرد النطق بها؛ أي أن حرف الباء يساعد في إنجاز أو تحقيق فعل معين بمجرد التعبير عنه.
- 10: أن الباء في الأفعال التأثيرية تعمل على تعزيز تأثير الفعل على المخاطب، سواء كان هذا التأثير في توجيه السلوك أو تحفيز استجابة معينة.
- 11: إمكانية الاستفادة من هذا المنهج التحليلي في دراسة بقية حروف المعاني في القرآن الكريم، لاكتشاف أبعاد جديدة في فهم النص القرآني.
- وختامًا، تؤكد هذه الدراسة أهمية الربط بين الدراسات اللغوية التقليدية والنظريات اللسانية الحديثة، وأن مثل هذا التداخل المنهجي يُثري البحث اللغوي ويوسّع من أفق التحليل، ويدعو إلى مزيد من الدراسات التطبيقية على بقية حروف المعاني في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، لاستجلاء ما تحمله من طاقات دلالية وتداولية تسهم في بناء المعنى وتحقيق الوظيفة التواصلية.

قائمة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم {رواية ورش عن نافع}.

I : الكتب العربية والمترجمة:

- 1: أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مكتبة لبنان، ط1.
- 2: مجموعة من المؤلفين؛ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، مصر، د، ط، د، ت.
- 3: البطلوسي ابن سيد عبد الله، (ت: 521هـ)، إصلاح الخلل الواقع في جمل الزجاجي، تح: حمزة عبد الله الشرقي، دار المريخ، الرياض، م، ع، السعودية، ط، 1399هـ-1989م.
- 4: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، سنة 1998م/1419هـ.
- 5: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: الدكتور حسن هندراوي.
- 6: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية، تح: سميح او مغلي، دار مجد لاوي للنشر، عمان، 1988م.
- 7: الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الكناني البصري، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7.
- 8: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للطباعة، المملكة العربية السعودية، (ط.ت)، (د.ت).
- 9: جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د ط)، 1991م.

- 10: أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م-1413هـ.
- 11: خولة الطالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، (د ط)، الجزائر، 2002م.
- 12: الزبيدي الأندلسي أبو بكر مُجَّد ابن الحسن، طبقات النحويين و اللغويين، تح: أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م.
- 13: الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: علي توفيق مُجَّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دار الأربد، الاردن، ط2.
- 14: الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط5، 1406هـ-1986م.
- 15: زكي نجيب محمود، سلسلة إعلام العرب جابر بن حيان، المركز العربي للثقافة و العلوم، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- 16: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن مُجَّد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مُجَّد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م-1418هـ.
- 17: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار عالم الكتب، ط3، سنة 1403هـ/1983م.
- 18: السعدي، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م-1420هـ.
- 19: السهيلي أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تح: مُجَّد ابراهيم البناء، دار الرياضي للنشر و التوزيع، ط2، (د،ت).
- 20: الشافعي، الأم في الفقه، دار المعرفة، بيروت، م1، 1990م-1410هـ.

- 21: الطبري، مُجَّد بن جرير بن يزيد بن كثير أبي جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود مُجَّد شاكر، مكتبة ابن تيمية- القاهرة (ت864240).
- 22: الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب.
- 23: عبد الله بن أحمد الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تح: عباد بن عبد الثبيتي، دار المغرب الإسلامي، د، ط، 1968م.
- 24: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984م.
- 25: ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، د، ط، 1403هـ.
- 26: عماد علي جمعة، قواعد اللغة العربية، النحو التطبيقي من القرآن والسنة، دار الضياء للنشر، القاهرة، مصر، ط3، 2003م.
- 27: الفرائي، أبو نصر مُجَّد بن مُجَّد، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2.
- 28: القرطبي، أبي عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006م-1467هـ.
- 29: ابن كثير، مختصر التفسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط7، 1981م-1402هـ.
- 30: مُجَّد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1989م-1409هـ.
- 31: مُجَّد ابراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ط1، مكتبة الاداب، القاهرة، مصر.
- 32: مُجَّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم "مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات"، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ- 1996م.

- 33: مُجَّد نديم فاضل، "التعريف بحروف المعاني"، أكاديمية مكايي للتدريب اللغوي 2023م.
- 34: مُجَّد عزة دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1383هـ.
- 35: أبو مُجَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، مُجَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991م.
- 36: مُجَّد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان.
- 37: مُجَّد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، باب 24 "باب ما جاء في مسح الرأس أنه يبدأ بقدم الرأس إلى مؤخره"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1420هـ.
- 38: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوه و مُجَّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م-1413هـ.
- 39: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.
- 40: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط2، /2020م.
- 41: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، بحث في التأسيس النظري للظاهرة مع مراجعة مفاهيمية للمصطلح وربط بالتراث العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، سنة 2023م.
- 42: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط28، 1993م.
- 43: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: د. عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط30، 1994م/1414هـ.
- 44: ابو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد الرحمان مخيمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- 45: ابن منظور، مُجَّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط3، ج9، سنة 1414 هـ.
- 46: ابن هشام الأنصاري، أبو مُجَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: مازن مبارك و مُجَّد علي حمد الله، دار النشر بدمشق، ط1، ج1.
- 47: ابن هشام الأنصاري، أبو مُجَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، مغني اللبيب في كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف مُجَّد الخطيب، السلسلة التراثية (21)، ج2.

II: المجالات والدوريات:

- 1: الإيمان مُجَّد المهدي مُجَّد الأطروني، الأحكام المتعلقة بالمسح في الفقه الإسلامي، الدرية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، العدد 16، 2016م.
- 2: : إسلام ويب، 2014/12/09م، (كلا) في القرآن الكريم "دراسات قرآنية"، 2025/03م.
- 3: ابن الخشاب عبد الله بن أحمد المرتجل، تح: علي حيدر، د، ط، 1972هـ، ومجاهد منصور مصلح، معنى الحرف بين النحاة و الأصولين _ دراسة نحوية دلالية، مجلة شؤون العصر، صنعاء، اليمن، العدد 21، شهر رجب رمضان أكتوبر ديسمبر 1426هـ-2005م.
- 4: حليلة بوالريش، "التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم"، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، 25 نوفمبر 2018م.
- 5: حكيمة بوقرة، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم_مقارنة تداولية_منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، ع3ماي، 200م.
- 6: زمام نبيلة، "حروف المعاني وأثرها في فهم الالفتات الدلالية في الخطاب القرآني -آيات من الذكر الحكيم أنموذجا-، مجلة المعيار، مج 25، عدد 59، 2021م.
- 7: سمية أحمد سالم، نعمة دهش فرحان الطائي، 30 أيلول 2022م-1444هـ، "الاستلزام الحوارية ومبدأ التعاون التخاطبي"، مجلة نسق، مج 35، عدد 10.

- 8: الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء المعنى، منشورات جامعة خان يونس، بنغاري، ليبيا، د، ط، 1996م.
- 9: طه الأمين بودانة، 2018م، "حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم"، التعليمية، المجلد 5، العدد 13 مارس 2018م.
- 10: محمود سعد، حروف المعاني بين دقائق النحو، ولطائف الفقه، كلية الاداب، مصر - بنها، دس، ط 1.
- 11: نجاة مطاوي، يوسف بن زحاف، نظرية الأفعال الكلامية بين جون أوستين وجون سيرل وأهميتها في اللسانيات التداولية، العدد 01، المجلد 10، 10 ماي 2023م.
- 12: يسمينه عبد السلام، "نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين"، مجلة المخبر، العدد 14، 2014م.

III: الرسائل العلمية:

- 1: حانو نور الهدى، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي، 2019م - 1440هـ.
- 2: شهرياني، حرف الباء ومعانيه في سورة آل عمران (دراسة تحليلية نحوية ودلالية)، "رسالة دكتوراه، قسم تدريس اللغة العربية - كلية التربية وشؤون التدريس بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر 2018م.
- 3: عبد الرحمان بن عبد الله بن سالم القرشي، حروف المعاني التي يحتاجها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير "دراسة نظرية تطبيقية"، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة - تخصص التفسير وعلوم القرآن، 1439-1440هـ.
- 4: قانة جيلالي، سني قدور، حروف الجر في القرآن الكريم دراسة دلالية - سورة الفرقان نموذجاً، رسالة لنيل درجة ماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، سنة 2021_2022م.
- 5: محمد آل عبد الجبار، الشهب النواقب لرحم شياطين النواصب، تح: حلمي السنان، ط 1، 1418هـ، وطارق بن سعيد القحطاني، أسرار الحروف و حساب الجمل، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، كلية الدعوة

وأصول الدين بجامعة أم القرى، م، ع، السعودية، إشراف الدكتور: مُجَّد يسري جعفر، 1429هـ_2008م، 1430هـ_2009م و ما بعدها.

6: نسرین شحذة احمد المدهون، قراءات حروف المعاني في القرآن الكريم (دراسة نحوية)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م.

7: ياسين حمدي، حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء -حروف الجر أنموذجا-، مذكرة ماستر في العلوم الإسلامية -تخصص الفقه وأصوله-، جامعة الوادي، 2013/2014م.

IV: الموسوعات:

1: الموسوعة القرآنية "موسوعة شاملة للقرآن الكريم وعلومه".

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث دراسة دلالات حرف الباء في القرآن الكريم في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، وهي نظرية لسانية حديثة تُعنى بتحليل المقاصد والوظائف التي يؤديها الكلام في السياق التواصلية، حيث اخترت حرف الباء كنموذج من حروف المعاني لما له من تعدد دلالي وتنوع وظيفي في الخطاب القرآني، وتنبع إشكالية الدراسة من السؤال التالي: كيف تُسهم دلالات هذه الحروف في بناء المقاصد القرآنية من منظور تداولي يعكس غنى النص القرآني وأبعاده البيانية؟

وتضمنت هذه الدراسة؛ مدخل حيث عرفت فيه كل من حروف المعاني ونظرية الأفعال الكلامية، ثم عرضت نظرية الأفعال الكلامية بين المفهوم الغربي والتراث العربي، وحروف المعاني: أنواعها، خصائصها، معايير تصنيفها، دلالاتها حيث صنفتها من الأكثر وروداً إلى الأقل وروداً في القرآن الكريم، وكذلك أثرها في التركيب القرآني، وأرفقت هذه الدراسة بجانب تطبيقي ذكرت فيه دلالات حرف الباء باعتباره أداة جر كلامية، ثم دلالاته في الأفعال الكلامية (التصريحية، والإنجازية، والتأثيرية) وذلك باستخراج أمثلة من القرآن الكريم مع تفسير معانيها الدلالية والنحوية بمنظور تداولي، وأفضى هذا التحليل إلى وجود أثر تداولي لحرف الباء في القرآن الكريم، كونه يساهم في تحديد دلالة الفعل الكلامي إذ تتعدد دلالاته ولكل دلالة أثر في نوع الفعل الكلامي ووظيفته داخل الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: حروف المعاني، نظرية الأفعال الكلامية، حرف الباء، الأفعال الكلامية (التصريحية، الإنجازية، التأثيرية)، القرآن الكريم، اللسانيات التداولية.

Abstract:

This research examines the semantics of the letter "bā" in the Holy Qur'an in light of the theory of speech acts, a modern linguistic theory concerned with analyzing the purposes and functions performed by speech in a communicative context. I chose the letter "bā" as a model of semantic letters due to its semantic multiplicity and functional diversity in Qur'anic discourse. The problem of the study stems from the following question: How do the semantics of these letters contribute to constructing Qur'anic purposes from a communicative perspective that reflects the richness of the Qur'anic text and its rhetorical dimensions?

This study includes: The introduction introduces both the letters of meaning and the theory of speech acts. It then presents the theory of speech acts between the Western concept and the Arab heritage, and the letters of meaning: their types, characteristics, classification criteria, and connotations, classifying them from most frequently to least frequently in the Holy Qur'an. It also discusses their impact on Quranic structure. This study is accompanied by an applied section, which discusses the connotations of the letter "b" as a prepositional tool, followed by its connotations in speech acts (declarative, performative, and affective). This is done by extracting examples from the Holy Qur'an and interpreting their semantic and grammatical meanings from a pragmatic perspective. This analysis leads to the existence of a pragmatic impact of the letter "b" in the Holy Qur'an, as it contributes to determining the meaning of a speech act, given its multiple connotations, and each connotation has an impact on the type of speech act and its function within the Quranic discourse.

Keywords: letters of meaning, theory of speech acts, letter "b", speech acts (declarative, performative, and affective), the Holy Qur'an, pragmatic linguistics.